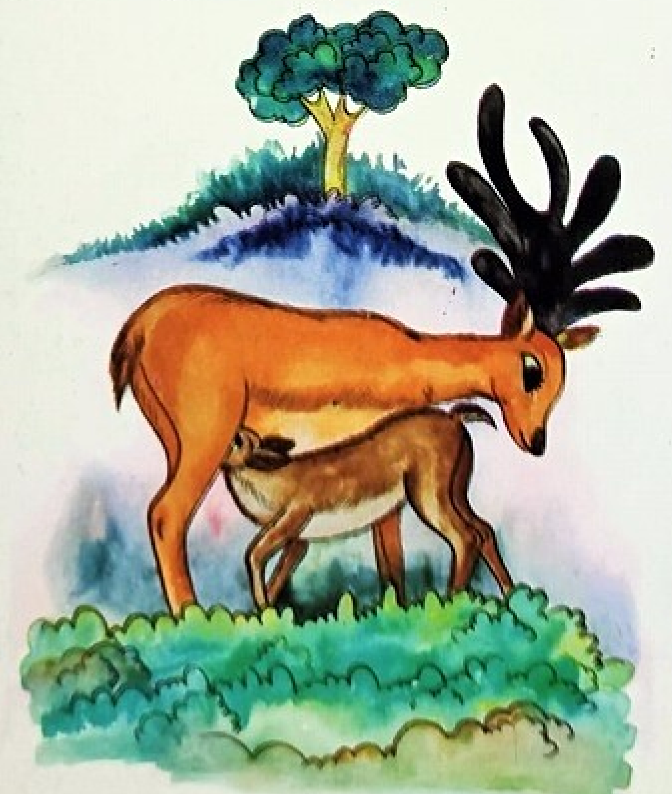




بقلم : عبد التواب يوسف

عن : فيلكس سالتين



دار المعارف

أولادنا

٣٨



بقلم : عبد التواب يوسف

عن : فيلكس سالتين



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ شارع كورنيش النيل ج . م . ع

مقدّمة

أشهر غزال فى كل الدنيا

هل شاهدتم أو سمعتم حكاية « بامبى » ؟

إنها قصة غزال صغير ، لقى من كل الدنيا الاهتمام والإقبال حتى أنها ترجمت إلى الصينية واليابانية ، بجانب كل لغات أوربا ، وقد كتبها مؤلف من النمسا اسمه « فيلكس سالتين » Felix Salten.

كان معروفا فى بلاده على أنه صحفى ، وكاتب مقال ، ومؤلف لقصص وروايات لم تعبر حدود بلاده ، ولم يكن معروفا خارج النمسا ، لأن عمله كان فى صحيفة تصدر فى فينا ، وفيها كان يعيش مع أسرته المكونة من زوجة وولد وبنت .

ذات يوم من عام ١٩١٩ خرج مع مجموعة من الأصدقاء إلى الصيد فى إحدى الغابات القريبة من « فينا » ولقد حمل أصدقاؤه بنادقهم وأدوات الصيد معهم ، ما عدا الكاتب«فليكس سالتين»، لأنه كان يصطاد دائما بغير سلاح وبدون بندقية ، فكان يراقب الحيوانات ، ويتفرج عليها وهى تجرى حرة طليقة ، ويكره صيدها بالبنادق وقتلها ، بل كان يحاول أن يمسك الصيد بيديه ، إذا أمكنه ذلك ، وهو دائما وباستمرار يسأل نفسه :

– ترى ما هو شعور هذه الحيوانات نحو الصيادين وبنادقهم ورصاصها ؟ ، ترى بماذا تحس حين تسمع طلقات الرصاص ؟ ، ترى ما مدى كراهيتهم للإنسان الذى يقدم على قتلهم ؟ .

ولَّما كان «سالتين» يتجول فى الغابات ، يشاهد الحيوانات ويراقبها ويفكر فيها ، فقد فكر أن يكتب قصة عن غزال . يصور فيه مدى الرعب الذى يصيبه عندما يأتى الإنسان لصيده ؟ ، وبدأ سالتين يكتب قصة « بامبى » الغزال الظريف .

واستمر سالتين يكتب قصة « بامبى » حتى سنة ١٩٢٣ ، واستغرقت منه أكثر من خمس سنوات ، وبعد أن انتهى منها أطلع ابنه وابنته عليها ، ثم نشرها فى « فينا » حيث لاقت إقبالا هائلا وأحبها الجميع ، فقد دخلت قلوب الأطفال بسهولة ، وبعد خمس سنوات ترجمت إلى الإنجليزية ، فقرأها أطفال إنجلترا وأمريكا وأحبوها مثلما أحبها أطفال النمسا .

وقد اكتسب «سالتين» عن طريق قصة « بامبى » شهرة خارج بلاده، لم يكتسبها ككاتب صحفى أو كاتب مقال فى جريدة كبيرة ، لأنه كتب عن هوايته، وهى صيد الحيوانات بدون رصاص وبدون قتل .

وكانت تجربة مثيرة أن يكتب قصة للأطفال ، وكانت أول وآخر تجربة ، برغم أنها نجحت نجاحا باهرا ، جعلته من أشهر كتاب النمسا وفى العالم فى ذلك الوقت .

– ١ –

الفصل الأول

جاء إلى هذه الدنيا بين الأحراش .. بيته فسحة صغيرة وسط الغابات البعيدة عن الأنظار ، وهى تبدو وكأنها مكشوفة فى العراء ، مع أن سياجًا من الأشجار من جميع الجهات يحجبها تماما عن الأعين ، ولم يكن له غير هذا المكان الصغير الذى يكاد يكفيه هو وأمه ، نزل من بطن أمه يتأرجح فوق سيقان رقيقة تحمله بصعوبة ، عيناه الغائمتان تحملقان أمامه دون أن يرى أو يعى شيئا .

مال برأسه ، وارتجف جسمه وهو لا يزال مذهولا تماما .

وصاح طائر العقعق : آه ، ياله من مولود جميل ، كان الطائر قد حلق فوقهما ليتطلع إلى الوليد بعد أن جذبت أنات عميقة أطلقتها الأم وهى تلد ، ووقف طائر العقعق فوق غصن قريب ، وأخذ يردد : آه ، ياله من وليد جميل . ولما لم يجد استجابة استمر فى ثرثرته : أنا لا أدرى كيف سيقوى على النهوض والمشى ؟ .

شىء مثير حقًّا !! لم أر فى حياتى شيئًا كهذا أبدًا ، صحيح أن عمرى أيام قليلة معدودة ، فأنا لا أزال صغيرًا ، ولكن يبدو لى أن ما أراه شيئا يثير العجب والدهشة ، وليد كهذا ، ضئيل الحجم ، رقيق الجسم جدًّا ، يمشى على قدميه منذ أول لحظة يخرج فيها

إلى الدنيا . هذا شىء عجيب ، حقيقة أن كل ما تفعله أيها الغزال يثير دهشتى وأراه عجيبا ، ترى هل يستطيع الجرى ؟ .

أجابت الأم بصوت حنون : طبعا ، ولكن اعذرني إذا لم أتحدث إليك الآن ، عندى أعمال كثيرة يجب أن أنجزها أولا ، كما أننى لازلت أشعر ببعض التعب والإجهاد .

كانت الأم ترقب وليدها وتتأمله باهتمام ولهفة ، غسلت جسمه بلسانها . ربتت عليه ودللته كأنها تدلك جسمه بماء دافئ .

وترنح المخلوق الصغير واهتز جسمه قليلا . ثم استجمع قواه الواهنة ، وتماسك فى وقفته بفضل ضربات لسان الأم الحانية التى تلعق جسمه فى رقة ووداعة هنا وهناك ، كان فراؤه الأحمر المرقط لا يزال أشعث ، وقد ارتسمت عليه بقع بيضاء رقيقة جميلة ، وبدا على وجهه الطفلى الهادئ البرئ تعبير ناعس غامض .

لم يفهم الغزال الوليد شيئًا مما حوله ولم يلتفت إلى الروائح التى عبقت بها الغابة ، لم يسمع غير صوت لسان حنون يلعق فراءه ويغسله ، ويدفئه ، ويقبله ، ولم يشم غير رائحة جسد أمه بجواره ، وأحب رائحة الأم فأخذ يدنو منها ويزداد التصاقًا ، وبحث بفمه فى لهفة وشوق عن طعام يمده بالحياة .

وبينما كان الوليد يرضع ثدى أمه ، ظلت الأم تهدهد رضيعها وتدلله ، وهمست فى أذنه « بامبى » وأخذت ترفع رأسها بين لحظة وأخرى ، تتصنت ، وتتشمم الهواء حولها . ثم عادت وقبلت وليدها ثانية راضية سعيدة مطمئنة ، ونادته مرة أخرى « بامبى » صغيرى العزيز : « بامبى » .

— ٢ —

الفصل الثانى

هلت بشائر الصيف ، وسكنت الأشجار تحت السماء الصافية الزرقاء ، ومدت أغصانها تستقبل أشعة الشمس ، وخرجت الأزهار من أكامها ، وافترشت تحت قبة الأشجار العالية بساطا أخضر تخاله سماء رصعتها نجوم حمراء وبيضاء وصفراء ، وخرجت من أديم الغابة حشود الأزهار كأنها نجوم متعددة الألوان ، ولمعت التربة ببريق يفيض بهجة هادئة نابضة بالحياة . وعبق كل شىء بعطر أوراق الأشجار النابتة ، وللأزهار المتفتحة ، والتربة الندية ، والغابة الخضراء ، وكلما طلع الصباح ، أو غابت الشمس ، ترددت فى كل جنبات الغابة آلاف الأصوات فيطن النحل ، وتئز الدبابير من الصباح حتى المساء ، فتملأ السكون العطر بطنينها .

كانت هذه هى الأيام الأولى من حياة « بامبى » ، اعتاد السير خلف أمه عبر ممر ضيق يخترق الأشجار ، وكلما مر بين الأشجار ، ربتت أوراقها الكثيفة على جنبيه فى حنان ، وانحنت أغصانها فى طاعة وطراوة لتفسح له الطريق ، يبدو الممر وكأن عشرات العوائق والحواجز تشده فى مواقع مختلفة ، غير أنهما يعبران فى يسر وسهولة ، فقد ألفت أمه مثل هذه الممرات التى تملأ كل أنحاء

الغابة ، وعرفتها معرفة جيدة ، وإذا حدث وتوقف « بامبى » أمام شجيرة وظنها جدارا أخضر مصمتا ، فسرعان ما تهتدى الأم إلى طريقها وتسلكه فى سرعة دون تردد أو عناء .

سألها « بامبى » أسئلة كثيرة ، إذ كان يحب أن يسأل أمه عن كل ما يراه ، إن أحب شىء إلى نفسه أن يسأل السؤال وينتظر من أمه الجواب . ولم يدهش « بامبى » لتداعى الأسئلة التى تخطر على باله ، السؤال بعد الآخر ، دون جهد أو انقطاع ، رأى ذلك أمرًا عاديًا وطبيعيًا يسعد به ، ويسر له كثيرًا ، ويشعر فى داخله بسعادة غامرة وهو ينتظر الإجابة التى ستأتى على لسان أمه . ويرضى ويقنع إذا جاءه الجواب كما يفكر ويريد ، ويحدث بطبيعة الحال أن لا يفهم أحيانًا الجواب ، ولكن هذا يسره ويرضيه أيضًا ، لأنه يظل مشغولا يفكر فيما لم يفهمه ويتخيله على طريقته ، ويشعر أحيانًا أن أمه لم تعطه جوابًا كاملا شافيًا ، وتتعمد ألا تخبره بكل ما تعرفه ، وكان هذا يرضيه كثيرًا أول الأمر . إذ معنى هذا أن قدرًا من الشك والفضول وحب الاستطلاع يظل نابضًا حيًّا بداخله يلح عليه ويحفزه إلى المعرفة ، ويلمع فى باطنه بوميض غامض خفى بهيج ، ويتعجل الأمر ، ويشعر بمزيج من القلق والسعادة وهو يكبر فى صمت .

سأل أمه (ذات مرة) : من صاحب هذا الممر يا أماه ؟ .

أجابت الأم : نحن .

وعاد « بامبى » يسألها : أنت وأنا ؟ .

أمه : نعم ..

– لنا نحن الاثنين ؟ .

– نعم ..

– لنا نحن الاثنين فقط ؟ .

قالت الأم : لا ، لنا نحن الغزلان .

سأل « بامبى » ضاحكًا : ما معنى الغزلان ؟ .

نظرت إليه أمه تتأمله من رأسه حتى أقدامه ، وضحكت هى أيضًا ثم قالت له : أنت غزال ، وأنا غزالة ، نحن الاثنين من الغزلان ، هل فهمت ؟ .

قفز « بامبى » فى الهواء من شدة الفرح وهو يقول : نعم ، فهمت ، أنا غزال صغير ، وأنت غـزالة كبيرة ، أليس كذلك ؟ .

أومأت الأم برأسها علامة الموافقة ، وقالت : « بدأت تفهم الآن » ، وظهرت أمارات الجد على وجه « بامبى » ثانية ، وعاد يسأل أمه : هل هناك غزلان أخرى غيرى أنا وأنت ؟ .

قالت الأم : نعم ، بكل تأكيد ، غزلان كثيرة .

فقال بامبى : (بصوت عال) : وأين هى الآن ؟ .

– هنا منتشرة فى كل مكان .. ولكننى لا أراها ..

قالت الأم : سوف تراها ..

جمد « بامبى » فى مكانه ، وقد استبد به الفضول وقال : متى ؟ .

الأم : حالا ..

سارت الأم فى هدوء ، وتبعها « بامبى » وظل صامتًا يتساءل متعجبًا فيما بينه وبين نفسه عن معنى كلمة حالا .. واستنتج أن معنى حالا ليس « الآن » تماما .

وإنما تعنى « بعد حين » أو بعد فترة طويلة ، وفجأة سأل أمه : من الذى صنع هذا الممر ؟ .

أجابت الأم : « نحن » ..

قال بامبى (فى دهشة) : نحن ؟ أنت وأنا ؟ .

قالت الأم : نحن ، نحن ، نحن الغزلان ..

عاد « بامبى » يسأل : أى غزلان ؟ .

أجابت الأم فى حزم وحدة : كلنا .. وواصلا السير فى طريقهما ..

أحس « بامبى » نشوة وسعادة ، وخيل إليه أنه يعبر الطريق قفزًا وإن ظل يلتصق بأمه ، وبينما هما فى الطريق سمعا حفيفًا على الأرض أمامهما ، أخفت أوراق نبات السرخس والخس شيئًا يندفع فى حركة قوية عنيفة ، ودوت صرخة قصيرة حادة كأنها استغاثة

أليمة ، لقد انقض ابن عرس على فأر وأمسك به بين أنيابه ، وانسل هاربًا به عبر طرق ملتوية بين الأشجار لينعم بوليمته .

سأل « بامبى » أمه وقد أثاره ما سمع : ما هذا ؟ .

وشاءت الأم أن تهدئ من روعه : لا شيء ..

ارتجف « بامبى » وقال : « ولكن ، ولكننى رأيته » ..

قالت الأم : نعم ، نعم ، لا عليك ، لا تخف ، قتل ابن عرس فأرًا ..

ولكن « بامبى » تملكه خوف مروع ، انقبض قلبه وأحس وكأن فزعًا خفيًا يعتصره ، ومضى وقت طويل قبل أن يستطيع الكلام ، وهنا عاد ليسأل أمه : « ولماذا قتل الفأر » ؟ .

الأم : لأن .. ثم ترددت وتظاهرت بأن شيئًا ما قد حدث ، وأنها نسيت السؤال . وبدأت تسرع ، وقفز « بامبى » خلفها ..

ومضت فترة صمت طويلة . سارا صامتين . وأخيرًا سأل « بامبى » في قلق : ولكن هل سنقتل نحن أيضًا فأرا فى وقت ما ؟ .

أجابت الأم : لا ..

عاد « بامبى » يسألها : أبدًا ..

ردت الأم : أبدًا ..

وسأل « بامبى » بارتياح : لماذا لا ؟ .

قالت أمه (ببساطة) : لأننا لا نقتل أحدًا ..

أحس « بامبى » بالسعادة تغمره من جديد ، وترددت صيحات عالية جاءت من ناحية شجرة الدردار القريبة من الممر ، وسارت الأم فى طريقها دون أن تلتفت إليها ، ولكن « بامبى » توقف بدافع الفضول والرغبة فى معرفة هذا الصوت ، رأى فوق الشجرة طائرين من طيور أبو زريق يتشاجران معًا بشأن عش اختطفاه ، وصاح أحدهما : أتبعد أيها القاتل .

أجابه الآخر : اهدأ بالا أيها الأحمق . أنا لا أخشاك .

صاح الأول (بأعلى صوته) : أبحث عن أعشاشك بعيدا عنى وإلا سأحطم رأسك ، وبدأ غاضبًا ثائرًا ، وأخذ يتمتم قائلا : « ياللسوقية .. ياللسوقية وقلة الحياء » .

لمح الطائر الثانى « بامبى » ، رفرف بجناحيه ، وهبط قليلا ليقف على غصن قريب منه حتى يسمعه ، وصاح به : فيم تحدق ببلاهة أيها المنقط الغريب ؟ .

قفز « بامبى » بعيدًا مرتاعًا ، وجرى نحو أمه ، وعاد يسير وراءها خائفًا طائعًا وقد ظن أنها لم تلحظ ابتعاده عنها ، وبعد فترة صمت سأل أمه : أمى ما معنى السوقية ؟ .

قالت الأم : لا أعرف .

فكر « بامبى » لحظة ثم عاد يسأل من جديد : لماذا كان كل منهما غاضبًا من الآخر يا أماه ؟ .

أجابت الأم : كانا يتقاتلا من أجل الطعام .

سأل « بامبى » : ترى هل سنتقاتل نحن أيضًا من أجل الطعام يوما ما ؟ .

قالت الأم : لا .

وسألها « بامبى » : ولم لا ؟ .

ردت الأم : لأن طعامنا وفير يكفينا جميعًا .

أراد « بامبى » أن يعرف شيئًا آخر ، فبدأ يسأل : أماه ..

الأم : مـاذا ؟ .«بامبى»: هـل سيغضب أحدنـا من الآخـر يوما ما ؟ .

قالت الأم : لا يا طفلى العزيز ، نحن لا نفعل مثل هذه الأمور ..

وواصلا سيرهما ، لاح الضوء على البعد أمامهما ، ازداد الضوء أكثر فأكثر حتى غمر النور المكان من حولهما ، انتهى الممر عند أشجار كرم وشجيرات كثيفة متشابكة ، وبعد خطوات قليلة أصبح الاثنان فى ساحة واسعة ساطعة ، هم « بامبى » بأن يجرى ويركض ،ولكن أمه أوقفته .

سألها فى قلق ، وقد استخفه الفرح : ما هذا ؟ .

أجابت الأم : إنه المرج .

عاد يسأل فى إلحاح : « وما هو المرج » ؟ .

وشاءت الأم أن تقطع عليه سلسلة الأسئلة فقالت : ستعرف بنفسك بعد قليل .

بدت الأم حذرة جادة إلى أقصى حد . ووقفت ساكنة فى مكانها بغير حراك ، وقد رفعت رأسها إلى أعلى ترهف السمع وتتصنت باهتمام ، وأخذت أنفاسًا عميقة تتشمم الهواء من حولها ، وبدت جادة صارمة تماما ، وأخيرًا قالت : حسن ، كل شىء على ما يرام . يمكن لنا أن ننطلق ، وشب «بامبى» إلى أعلى وركض ، غير أن الأم سدت عليه الطريق ، وقالت له : انتظر حتى أناديك .

أطاع « بامبى » أمه على الفور ، ووقف ساكنًا ، وقالت الأم لتشجعه : حسن ، عليك الآن أن تنصت جيدًا لما سأقوله لك ، وأحس « بامبى » فى صوت أمه جدية وحزما . وأثار هذا خوفه .

واصلت الأم حديثها إليه قائلة : « السير فى المرج ليس أمرًا سهلا يسيرًا ، إنه صعب وخطير ، لا تسألنى لماذا ؟ ستكتشف ذلك بنفسك فيما بعد ، ولكن عليك الآن أن تفعل ما أقوله لك بدقة وتلتزم به تماما . هل تعدنى بذلك ؟

قال « بامبى » : نعم أعدك .

صاحت به : الحق بى . وانطلقت فى لمح البصر .

ارتبك « بامبى » ماذا تعنى ؟ ثم عادت إليه ثانية وهى تعدو بسرعة كبيرة جعلته يشعر بدوار . وقالت كلمات سريعة : حاول أن تلحق بى . وانطلقت تعدو ، فقفز « بامبى » خلفها ، وخطا

خطوات قليلة ، ثم تحولت خطواته إلى وثبات قصيرة ، وأحس كأنه يطير فى الهواء دون أى مجهود من جانبه ، رأى فراغًا تحت حوافره ، وفراغًا تحت سيقانه كلما قفز إلى أعلى ، ثم فراغًا وفراغًا آخر ، وغمره شعور بالسعادة والفرح .

أثار أذنيه حفيف العشب من حوله ، وبدا له صوته رائعًا مذهلاً ، أحس به يلامس جسمه فى رقة وحنان ، ناعما كالحرير ، ركض حول نفسه فى دائرة ، ثم عاد لينطلق من جديد ركضًا ووثبًا فى دورات متتابعة .

ووقفت أمه تلتقط أنفاسها ، حرصت على ملاحقة « بامبى » بعينيها ، كان هائجًا جامحًا ،وفجأة انتهى السباق ، توقف وقصد أمه رافعًا حوافره فى رشاقة ، بدا لها سعيدًا مرحًا . وسارا معًا على مهل جنبًا إلى جنب .

منذ أن دخل «بامبى» إلى الساحة الفسيحة فى الهواء الطلق ، أحس بجسمه كله ينعم ويستمتع بالسماء والشمس والمرج الأخضر ، ألقى نظرة خاطفة بعينين شبه مغمضتين إلى ضوء الشمس المبهر ،وقد أحس بأشعتها تسقط دافئة على ظهره .

بدأ الآن يستمتع بالمرج الأخضر ،ويمتع عينيه به ، أذهلته مباهج المرج وأعاجيبه مع كل خطوة يخطوها ، إنه لا يرى أثرًا للتربة فى أى مكان يطؤه بأقدامه داخل الغابة . لقد غطت أوراق العشب والشجر كل مكان ، تتطاير وتتراقص فى الهواء هنا وهناك ، وتنحنى

وتلين تحت وطء الأقدام لتغوص وتنهض من جديد سليمة دون اعوجاج أو أذى ، وازدان المرج الأخضر الفسيح بأزهار الأقحوان والقرنفل الأحمر والبنفسجى ، كأنما رصعته نجوم مختلفة ألوانها ، وصاح« بامبى »هاتفًا : انظرى ، انظرى يا أمى : زهرة تطير .

قالت الأم : هذه ليست زهرة ، إنها فراشة .

حدق « بامبى » فى الفراشة مفتونًا ، لقد طارت خفيفة رشيقة من فوق ورقة الشجر ، وها هى ذى تحوم وترفرف بجناحيها بطريقتها السريعة المذهلة . ثم لحظ بامبى وجود عشرات الفراشات تحلق هنا وهناك فى كل أنحاء المرج ، تخالها فى عجلة من أمرها مع أنها تتحرك ببطء ، تحوم إلى أعلى ثم تهبط إلى أسفل صعودًا وهبوطًا كأنها تلعب لعبة انشرح لها صدر « بامبى » ، إنها تبدو حقًا وكأنها أزهار تطير وترقص ، لا تستقر ولا تهدأ ، وتخالها أيضًا أزهارًا تخلد للراحة والسكون مع مغيب الشمس ، ولكن ليس لها مأوى ثابت تجد فى البحث عنه ، إنها تهبط وتتوارى عن الأنظار كأنما استقر بها المقام فى مكان ما ثم لا تلبث أن تصحو دائما ،تحوم على ارتفاع منخفض ثم تعلو وتعلو ، وتبعد وتبعد لأن كل الأماكن الملائمة باتت مشغولة .

حملق « بامبى » فيها جميعًا ، تمنى لو رأى واحدة عن قرب ، أراد أن يشاهد إحداها وجهًا لوجه ، ولكنه لم يستطع ، لقد كانت تروح وتجىء سريعة فى طيرانها ، ولا تثبت فى مكان ، وبدا الهواء يرفرف معها مهتاجًا .

واصل « بامبى » وأمه سيرهما . أحس بالجوع فالتصق بأمه ليرضع .

ثم وقف صامتًا شاردًا حالما يحدق فى الفضاء ، وفى نفسه نشوة وسعادة يشعر بهما ، كلما التقم ثدى أمه يرضع ، لاحظ زهرة ساطعة تتحرك بين الأعشاب المتشابكة ، حدق فيها « بامبى » ، إنها ليست زهرة بل فراشة ، زحف « بامبى » ناحيتها .

تعلقت الفراشة بنصل عشب ورفرفت بجناحيها ببطء شديد .

قال لها « بامبى » : أرجوك أن تهدئى وتثبتى فى مكانك .

أجابت الفراشة (فى دهشة) : لماذا أهدأ وأثبت فى مكانى؟ إننى فراشة .

توسل إليها«بامبى»قائلا : أرجوك أن تثبتى فى مكانك . دقيقة واحدة ، أتمنى وأتوق إلى أن أراك عن قرب ،من فضلك .

قالت الفراشة : حسن ، من أجلك ولخاطرك سأبقى ساكنة فى مكانى ولكن لفترة قصيرة .

وقف«بامبى»قبالتها ، وصاح مسحورًا مسلوب اللب : « آه ما أجملك . يالجمالك الرائع المذهل . إنك مثل الزهرة » .

صاحب الفراشة وهى ترفرف بجناحيها : ماذا ؟ أتقول إننى مثل زهرة ؟ لا . لا . عندنا نحن الفراشات نقول : إننا أرق وأجمل من الأزهار .

أحس « بامبى » بالخجل والحيرة ، وتلعثم وهو يقول : آه ، نعم أرق وأجمل كثيرًا ، معذرة ، إننى قصدت فقط أن أقول ... » .

وقطعت الفراشة عليه حديثه وقالت : أيًّا كان ما تقصده ، فالأمر سواء عندى . وقوست جسمها . ولعبت قرنى الاستشعار الرقيقين .

تأملها « بامبى » مذهولاً مفتونًا وقال : ما أرقك وما أجملك ..

بسطت الفراشة جناحيها على امتدادهما ، ثم رفعتهما عاليًا حتى تلاقيا كأنهما شراع منشور .

صاح «بامبى»: « أوه ، أعرف أنك أرق وأجمل من الزهر ، علاوة على أن الفراش يطير ، فى حين لا تستطيع الأزهار الطيران ، لأنها ثابتة فوق سيقان تنمو عليها ، وهذا هو السبب ... » .

بسطت الفراشة جناحيها وقالت : « يكفى أننى أستطيع الطيران » .. وحومت فى الهواء خفيفة رشيقة ، ثم ارتفعت عاليًا حتى أن«بامبى»عجز عن أن يراها أو يتابع طيرانها ، كان جناحاها يرفرفان برقة ورشاقة وأخذت تعلو وتهبط وسط الهواء الغارق فى ضوء الشمس ، وحومت حول « بامبى » وهى توازن نفسها فى الهواء وقالت له : « تعبت فى مكانى ثابتة كل هذه الفترة من أجلك فقط ولخاطرك ، والآن سأرحل عنك » .

وكان هذا أول لقاء بين « بامبى » والمرج .

– ٣ –

الفصل الثالث

كانت لأم بامبى فى قلب الغابة فرجة صغيرة هى مأواها وبيتها ، وتقع هذه الفرجة على بعد خطوات قليلة من الممر الضيق الذى تسلكه الغزلان ركضًا عبر الغابة ، ولا يستطيع أى كائن أن يهتدى إلى مكانه ما لم يكن يعرف الممر الضيق الموصل إليه عبر الأشجار الكثيفة .

كانت فرجة ضيقة جدًّا لا تتسع إلا لبامبى وأمه ، وهى منخفضة جدًّا حتى أن أم بامبى إذا وقفت يختفى رأسها بين الأغصان ، وتشابكت أغصان أشجار البندق والرتم والقرانيا حتى بقايا شعاعات الشمس التى تنفذ عبر قمم الأشجار ، وتحول دون وصولها إلى الأرض ، جاء «بامبى» إلى الدنيا فى هذه الفرجة ، فهى بيته وبيت أمه ، وكانت أمه نائمة على الأرض ، وأغفى «بامبى» قليلاً هو الآخر ، ولكنه استيقظ من نومه فجأة ، نهض وتلفت حوله .

خيمت ظلال داكنة حتى بدا المكان مظلما ، وانبعثت من بين الأشجار أصوات صليل ، وبين الحين والحين تتردد سقسقة عصفور القرقف ، وتسمع بين لحظة وأخرى صوتًا واضحًا لنقرات طائر نقار الخشب ، أو نعيق غراب ، وما عدا ذلك بدت الغابة ساكنة ،

وساد الصمت هنا وهناك فى كل الأرجاء ، ولكن الهواء يئز مع هجير منتصف النهار ، وتكاد تسمع أزيزه واضحًا إذا أرهفت السمع .

نظر« بامبى»إلى أمه وسألها : هل أنت نائمة ؟ .

ولم تكن أمه نائمة ، استيقظت فى اللحظة التى صحا فيها «بامبى » ..

عاد يسألها : ماذا سنفعل الآن ؟ .

أجابت الأم : « لا شيء ، سنبقى حيث نحن ،أرقد ونم وكن ولدًا طيبًا مطيعًا .

ولكن « بامبى » لم يكن راغبًا فى النوم ، توسل إلى أمه قائلا : « هيا بنا نذهب إلى المرج » .

رفعت الأم رأسها وقالت : « نذهب إلى المرج ، تريد أن نذهب إلى المرج ؟ » بدا صوتها مشحونًا بالدهشة والفزع حتى أن باسبى أحس بخوف شديد ، وعاد يسألها فى وجل : « ألن نستطيع الذهاب إلى المرج » ؟ .

أجابت الأم (وفى صوتها رنة حزم قاطع) : لا . لا ، لا يمكنك الذهاب الآن .

أدرك « بامبى » أن الأمر ينطوى على شيء غامض . وازداد خوفه ، ولكنه قلق لمعرفة كل شيء ، سأل أمه : لماذا ؟ لماذا لا يمكننا الذهاب إلى المرج ؟ .

أجابت الأم : « ستعرف كل شيء فيما بعد حين تكبر .. » .

أصر « بامبى » على السؤال : ولكن أريد أن أعرف الآن ..

رددت الأم الإجابة نفسها : فيما بعد ، أنت لا تزال طفلا غرًا ، ثم واصلت حديثها فى رقة وحنان قائلة : نحن لا نتحدث عن مثل هذه الأمور إلى الأطفال .

وبدت جادة مرة ثانية ، واستطردت قائلة : « الشبح يذهب إلى المرج فى هذه الساعة من النهار ، وأنا لا أطيق حتى مجرد التفكير فيه . ونحن الآن فى وضح النهار » .

وقال « بامبى » معترضًا : ولكننا ذهبنا من قبل إلى المرج فى وضح النهار. قالت الأم موضحة له: الأمر مختلف . كنا فى الصباح الباكر .

واشتدت رغبة « بامبى » فى المزيد من المعرفة فسأل : ألا تستطيع الذهاب إلا فى الصباح فقط ؟ .

تحلت أمه بالصبر وقالت : فقط فى الصباح الباكر ، أو بعد الغروب أو فى الليل ، ولا يمكن أبدًا أثناء النهار ، وترددت الأم ، ثم قالت أخيرًا : يحدث فى بعض الأحيان أن يذهب بعضنا أثناء النهار ، ولكن تلك مناسبات خاصة ، ولا أستطيع تفسير ذلك لك ، فأنت لا تزال صغيرًا ، بعضنا يذهب إلى هناك ، ولكننا نكون عرضة لأشد الأخطار .

سأل « بامبى » باهتمام شديد : أى الأخطار ؟ .

ولكن لم تشأ الأم الاستمرار فى المحادثة ، واكتفت بأن قالت : « نحن فى خطر ، ويكفى هذا يا بنى . إنك لن تستطيع فهم مثل هذه الأمور » .

تصور « بامبى »أنه قادر على فهم كل شىء ، إلا أن يفهم السبب الذى من أجله تمتنع أمه عن ذكر الحقيقة له ، وواصلت الأم حديثها : هذا هو ما تعنيه الحياة لنا ، إننا نضطر إلى البقاء صامتين بغير حراك طوال النهار ، على الرغم من أننا جميعًا نحب ضوء النهار خاصة ونحن صغار ، كل ما نقدر عليه هو أن نحوم ونطوف فى المنطقة القريبة خلال الفترة من المساء حتى الصباح . هل تفهمنى ؟ .

قال «بامبى»: نعم .

قالت الأم : لذلك سنضطر يابنى إلى البقاء هنا حيث نحن الآن ، فنحن هنا فى أمان ، ارقد وحاول أن تنام .

ولكن« بامبى» لم يشأ الرقاد . وسأل : ولماذا نحن هنا فى أمان ؟ .

أجابت الأم : لأن الشجيرات تحيط بنا وتحمينا ، والأغصان تخشخش فوق الأشجار ، والعيدان الجافة تطقطق ، فيكون الصوت نذيرًا لنا يحذرنا ،كذلك فإن أوراق الأشجار الذابلة التى سقطت على الأرض خلال العام الماضى نسمع لها حفيفًا يحذرنا ، وطيور أبى زريق وغربان العقعق ترقب فى حذر وتصيح من على البعد إذا أقبل غريب .

وسأل « بامبى»: وما هى أوراق العام الماضى ؟ .

قالت الأم : « تعال واجلس هنا بجانبى ، وسأحكى لك ،
وجلس « بامبى » راضيًا سعيدًا بين أحضان أمه ، وقصت عليه
كيف أن الشجر لا يظل أخضر طوال العام ، وأن الشمس تغيب
ويختفى الدفء اللذيذ ،وتبرد الدنيا ، وتسقط الثلوج ،ويستحيل
لون الشجر الأخضر إلى لون أصفر وبنى وأحمر ، ثم يتساقط إلى
الأرض تدريجيًا ،وتمد الأشجار والشجيرات أغصانًا عارية ترتفع
إلى السماء ولكنها جرداء . وتغطى الأوراق الجافة الأرض ، وإذا
داس فوقها قدم نسمع لها حفيفًا . وهنا نعرف أن كائنا ما قادم فى
الطريق إلينا ، انظر ما أنفع أوراق العام الماضى الذابلة الميتة ، وما أكثر
حنانها ، إنها تقوم بالواجب على خير وجه ، وتظل حارسًا يقظًا ،
وتجد الكثير منها، حتى فى منتصف الصيف ، مختبئًا تحت
الشجيرات والأعشاب التى تغطى الأرض ، وهى نذير مبكر يحذرنا
قبل وقوع الخطر .

اقترب « بامبى » أكثر وأكثر حتى التصق بأمه ، إن حضن أمه
خير مكان دافئ ينصت فيه إلى حديث أمه ، وحينما صمتت بدأ هو
يفكر ، تخيل أوراق الأشجار الذابلة ، ومدى ما تقدمه من خدمة
كريمة جميلة حين تظل يقظة تراقب ، على الرغم من أنها جميعها
ميتة جافة ، وقد عانت وقاست الكثير ، وتساءل فى دهشة عن حقيقة
ذلك الخطر الذى تتحدث عنه أمه دائما ، ولكنه تعب من طول
التفكير ، فالجو صامت ساكن حوله ،والهواء حار خانق ، فراح فى
نوم عميق .

— ٤ —

الفصل الرابع

ذات مساء خرج « بامبى » مع أمه للتجول مرة أخرى فى المرج ، ظن أنه أصبح يعرف كل شيء يمكن أن يراه أو يسمعه هناك ، ولكن تكشفت لـه الحقيقة أو أدرك أن ما يعرفه ليس بالقدر الذى يتخيله .

كانت هذه المرة مثل سابقتها ، لعب « بامبى » مع أمه لعبة المطاردة ، أخذ يعدو ويركض فى دورات متتابعة ، وقد أسكره الهواء الطلق ، والسماء الصافية الزرقاء ، والهواء المنعش ، وأطلق هذا الجو كل غرائزه ، فأصبح جامحًا ، ولحظ بعد فترة أن أمه تقف ساكنة ، توقف فجأة ، ولم يكمل الوثبة التى بدأها حتى أن سيقانه الأربعة امتدت متباعدة ، وحاول أن يستعيد توازنه ، فوثب عاليًا فى الهواء ، ثم وقف منتصبًا ، خيل إليه أن أمه تتحدث مع شخص ما لم يتبينه بوضوح من خلال الأعشاب الطويلة ، سار« بامبى » على مهل بخطوات قصيرة ، وفى نفسه فضول ورغبة فى المعرفة .

شاهد أذنين طويلتين تتحركان بين سيقان العشب المتشابك بالقرب من أمه ، كان لونهما يجمع بين البنى والرمادى ، وبهما خطوط سوداء واضحة محددة ، توقف « بامبى » ، ولكن الأم نادته

قائلة : « تعال هنا هذا صديقنا الأرنب ، تعال وكن لطيفًا مهذبًا لكى يراك ويعرفك » .

ذهب « بامبى » إليهما ، جلس الأرنب وديعًا للغاية ، أذناه الطويلتان اللتان تشبهان الملعقة ثابتتان مشدودتان كالسهم بلاحراك ، ولكنهما ترتخيان أحيانًا أخرى ، كأنما أصابهما فجأة ضعف أو وهن ، وأحس « بامبى » بالحيرة وهو يتطلع إلى شعيرات شارب الأرنب ، وقد امتدت على جانبى فمه صلبة مستقيمة ، ولكنه لاحظ أن الأرنب له وجه لطيف وديع ، وقسمات حلوة التقاطيع ، وأنه ينظر إلى العالم نظرات مملوءة خوفًا بعينيه الكبيرتين المستديرتين ، حقًّا يبدو أنيسًا محبوبًا ، وسرعان مازالت عن« بامبى » كل شكوكه التى ساورته ، ولكن الشىء الغريب أنه فقد كل شعور بالاحترام أحس به أول الأمر تجاه الأرنب .

حياه الأرنب بأدب شديد قائلا : مساء الخير أيها الشاب .

اكتفى « بامبى » بأن رد عليه التحية بإيماءة من رأسه ، وكان ودودًا مهذبًا ولكن مع قدر من التعالى والكبرياء ، إنه لا يستطيع أن يفعل غير ذلك ، وربما ولد على هذا النحو .

قال الأرنب (موجهًا الكلام إلى أم بامبى) : ياله من أمير ساحر جميل ، وأخذ يتطلع إلى«بامبى» باهتمام ، وقد رفع إحدى أذنيه التى تشبه الملعقة ثم خفضها ورفع أذنيه الثانية ، وبعد ذلك انتصبت الأذنان معًا ، ثم تهدلتا فجأة فى استرخاء ، واستاء«بامبى»

لذلك،وخيل إليه وكأن حركات الأذنين تقول : إنه لا يستحق الاهتمام .

ظل الأرنب طوال هذه الفترة يتأمل بامبى بعينيه المستديرتين الواسعتين ، أنفه وفمه وشاربه الرقيق كلها فى حركة دائبه أشبه برجل يحاول أن يحبس عطسة فتراه يلوى أنفه وشفتيه فى حركة مرتعشة ، فضحك«بامبى»على الرغم منه ، وسرعان ما ضحك الأرنب بدوره ، وإن بدت عيناه تنمان عن قدر كبير من الأدب الجم والتفكير ، وقال لأم بامبى : أهنئك . أهنئك بصدق وإخلاص ابنك ، حقا سيكون أميرًا رائعًا ممتازًا حين يكبر ، كل من يراه يتنبأ له بذلك .

وكم كانت دهشة « بامبى » كبيرة لا حدود لها حين رآه يعتدل فجأة ، ويجلس على ساقيه الخلفيتين ، وبعد أن تحسس وراقب كل ما حوله بأذنيه المنتصبتين وأنفه المرتعش على الدوام ، عاد ليجلس فى هدوء ووداعة على أرجله الأربع ، وأخيرًا قال : أسألكم المعذرة أيها الأصدقاء الطيبون ، عندى أعمال كثيرة جدا الليلة . أطمع فى كرمكم بأن تقبلوا عذرى ، واستدار ووثب وانطلق بعيدًا وأذناه ممتدتين إلى الوراء حتى كادتا أن تلامسا كتفيه .

صاح به«بامبى»: طبت مساء ..

وابتسمت الأم وقالت : الأرنب الطيب ، إنه دمث حذر .. لا يهدأ بالاً ، ولا يشعر براحة فى هذا العالم ، وكان فى صوتها رنة تعاطف .

ترك « بامبى » أمه تتناول غداءها ، وتمشى للتنزه قريبًا منها ، لعله يقابل صديقه ثانية أو يتعرف على أشياء جديدة ، ذلك لأنه يشعر بالقلق ما لم تكن الأمور واضحة تماما له ، وسمع فجأة حفيفًا خافتًا فوق العشب ، وأحس بوقع خطو سريع خفيف على الأرض ، حدق بعينيه أمامه ، لمح عند طرف الغابة شيئًا ما ينسل بين الأعشاب هل هو حى ؟ لا ، فهناك شيئان ، ورمق « بامبى » أمه بنظرة خاطفة ، ولكنها لم تكن منتبهة لشىء ، وقد دست رأسها فى العشب . غير أن اللعبة كانت مستمرة هناك على الطرف الآخر من العشب فى دورات متلاحقة تماما مثلما كان يتسابق بامبى من قبل ، أثار الموقف « بامبى » حتى أنه وثب إلى الخلف وكأنه يريد الهرب ، ولاحظته أمه ، فرفعت رأسها ، نادته سائلة ؟ : « بامبى — إيه الحكاية : » .

ولكن « بامبى » صمت ولم ينطق كلمة واحدة ، ضاع منه الكلام من شدة الذهول ، واكتفى بأن تمتم كلمات متلعثمة : « انظرى هناك » .

تطلعت أمه حيث أشار وقالت : آه .. إنها أختى ، ويبدو يقينًا أنها ولدت طفلا هى الأخرى . لا ، إن لها طفلين ، وتحدثت الأم أول الأمر فى سعادة صادقة ، ثم تغيرت ملامحها وبدت جادة تماما ، وقالت له تصور خالتك « عينا » لديها طفلان .

وقف « بامبى » يحملق فى المرج ، لقد رأى كائنًا يشبه أمه

تماما ، لم يلحظها من قبل ، ورأى الأعشاب تهتز وتتأرجح فى دائرتين ، ولكنه لم ير سوى ظهرين أشبه بخطين أحمرين .

قالت الأم : « تعال . سنذهب إلى هناك ، سيكون طفلاها رفيقين لك » .

أراد « بامبى » أن يجرى ، ولكنه تريث ، وأمسك نفسه عن الجرى حين رأى أمه تمشى على مهل ، تحدق بعينيها يمينا ويسارًا مع كل خطوة تخطوها ، إنه لا يزال يشعر برغبة جامحة وقلق ونفاذ صبر .

واصلت الأم حديثها قائلة : قلت لنفسى إننا سنقابل أختى«عينا» يوما ما . ترى أين كانت مختبئة ؟ ودار بخاطرى أنها أنجبت طفلا ، ولم يكن هذا أمرًا يصعب تخمينه ، ولكنهما طفلان ..

وأخيرًا رأتها أختها فأقبلت عليها ومعها طفلاها ، وأراد بامبى أن يحيى خالته ، ولكن فكره كان مشدودًا نحو الطفلين . وكانت الخالة ودودة للغاية ، فقالت له : آه حسن ، هذا جوبو ، وتلك فالين ، الآن اذهبوا لتلعبوا وتركضوا معًا .

ظل الأطفال فى مكانهم جامدين كالأمواج ، يحدق كل منهم فى الآخر .

وقف « جوبو » إلى جوار « فالين » قبالة « بامبى » ، لم يتحرك أحدهم ، بل وقف كل منهم فاغرا فاه .

قالت أم بامبى : « هيا – اجروا ، ستكونون سريعًا أصدقاء » .

ردت الخالة « عينا » : ياله من طفل جميل ، إنه حبوب جميل حقا ، وهو قوى ثابت فى وقفته .

قالت الأم (فى تواضع) : علينا أن نرضى ونقتع بما هو مقسوم لنا ، ولكن أن يكون لديك اثنان منهم يا أختى .

قالت الأخت « عينا » : آه .. نعم . هذا شىء جميل جدا ، تعرفين ياعزيزتى أنه كان لدى أطفال من قبل .

قالت الأم : بامبى طفلى الأول ، إنه بكرى كما تعرفين .

وقالت الأخت « عينا » لتسرى عنها : سنرى فيما بعد ، ربما تختلف الأمور وتكون أفضل فى المرة القادمة .

وكان الأطفال لا يزالون وقوفًا ، يحدق كل منهم فى الآخر ، لم ينطق أحدهم بكلمة ، وفجأة وثبت « فالين » وانطلقت تعدو ، لقد سئمت طوال الوقوف ، وانطلق « بامبى » خلفها فى لمح البصر ، وتبعها « جوبو » ، أخذوا يركضون فى حركة شبه دائرية ، واستداروا وتدافعوا خلف بعضهم ، حتى تصادموا ووقع كل واحد فوق الآخر ، ثم نهضوا ثانية ليطارد بعضهم بعضًا جيئة وذهابًا ، وكانت متعة ما فوقها متعة ، وعندما توقفوا بعد أن أنهكهم طول الركض ، وتقطعت أنفاسهم كانوا قد أصبحوا أصدقاء ، وبدءوا يثرثرون معًا .

رفعت الخالة « عينا » رأسها ونادت الأطفال : « تعال ياجوبو . تعالى يافالين . يجب أن نرحل الآن » .

ونادت أم بامبى : تعالى يابامبى . حان وقت الرحيل .

توسلت فالين إلى أمها قائلة : انتظرى قليلا ياأمى ، مهلة قصيرة لا أكثر ..

وقال بامبى (فى رجاء وضراعة) : لنبق قليلا من فضلك ، الجو هنا ظريف ، وردد جوبو الكلام فى خوف وجبن : « الجو هنا ظريف » .

وقال الثلاثة فى صوت واحد : « لنبق فترة قصيرة أيضًا » .

التفتت الخالة « عينا » إلى ام بامبى وقالت لها : ألم أقل لك ؟ هاهم لا يريدون الابتعاد عن بعضهم الآن .

ثم حدث شىء أثار بامبى كما لم يثره شىء آخر من قبل ، سمع صوت حوافر تدق الأرض آتية من أطراف الغابة البعيدة ، طقطقت الأغصان ، وخشخشت فروع الشجر ، وقبل أن يتمكن بامبى من الصمت انفجر صوت وسط الأحراش ، إذ أقبل شخص ما مندفعًا محدثًا ضوضاء وجلبة ، واندفع خلفه شخص آخر ، ومرقا بسرعة الريح ، وتحركا فيما يشبه الدائرة فوق المرج ، ثم اختفيا ثانية فى الغابة ، وإن ظل صوت ركضهما مسموعًا ، وخرجا من بين الأحراش مرة ثانية فى ضوضاء عالية ، ووقفا فجأة جامدين كل منهما قبالة الآخر ، وإن باعدت بينهما حوالى عشرون خطوة .

تفرس فيهما بامبى دون أن يتحرك ، إنهما يشبهان أمه وخالته « عينا » ، ولكن يعلو رأس كل منهما تاج من قرون لامعة تنتهى

بعقد بنية وشعب بيضاء ناصعة ، ووقف بامبى مشدوهًا ، وظل ينقل عينيه من أحدهما إلى الآخر ، كان أحدهما أصغر من الآخر وقرناه أرفع وأدق ، غير أن الثانى أقوى بنية وأجمل صورة ، إنه يرفع رأسه فى كبرياء ، وتمتد قرونه فوق رأسه عالية فى شموخ ، وترى لقرونه وميضًا يتغير من الأسود إلى الأبيض الناصع ، وقد تزينت بشعب سوداء وبنية تضفى عليها بهاء وجلالا ، وصاحت فالين بإعجاب : آه .

وردد جوبو الكلمة بصوت رقيق لين « آه » ، فى حين صمت بامبى ولم يقل شيئًا ، ووقف مسلوب اللب معقود اللسان ، وتحرك ذكرا الغزال ، ورجعا إلى الوراء كأنهما يتباعدان ويسيران القهقرى بخطوات بطيئة قصيرة ، وإن ظل كل منهما قبالة الآخر ينظر فى تحفز ، ومر الذكر القوى الضخم بمحاذاة الأطفال وبجوار أم بامبي والخالة « عينا » ، مضى بمحاذاتهم فى جلال صامت ، شامخا برأسه مختالا كأنه ملك دون أن يتفضل على أحدهم بأكثر من لمحة خاطفة من طرف عينيه .

أمسك الأطفال أنفاسهم حتى اختفى عن الأنظار داخل الأحراش ، واتجهوا بأنظارهم إلى الذكر الآخر ، ولكن كان باب الغابة الأحمر قد حجبه وراءه ، وكانت فالين أول من كسر حاجز الصمت حين صاحت سائلة : « من هما » ؟ غير أن صوتها كانت فيه رجفة ،وردد جوبو السؤال نفسه بصوت خافت غير مسموع ، اه من هما ؟ وظل بامبى صامتًا .

وقالت الخالة « عينا » بصوت وقور : هذان هما أبواكم ، ولم يعقب أحد بكلمة ، وانفصلت الأسرتان ، صحبت الخالة « عينا » طفليها إلى أقرب مكان داخل الغابة ، فقد كان هذا مأواها ، واضطر بامبى وأمه إلى اجتياز المرج صوب شجرة البلوط لكى يصلا إلى الممر المؤدى إلى بيتهما ، وظل بامبى صامتًا زمنًا طويلا قبل أن يسأل أمه : هل لم يرنا الأبوان ؟.

وفهمت الأم ما يعنيه : وأجابت قائلة : طبعًا .

أحس بامبى بالقلق والضيق ، بدأ يخجل من كثرة السؤال ، ولكنه لم يعد يحتمل ، فبدأ يسأل من جديد : « إذن لماذا ؟ ولكنه توقف عن الكلام » رأت الأم أن تساعده على الاستمرار فسألته : « ما الذى تريد أن تعرفه يابنى » ؟ .

بامبى : لماذا لم يبقيا معنا ؟ .

أجابت الأم : إن الأب لا يبقى معنا دائما طول الوقت ، وإنما أحيانًا وفى أوقات محدودة .

واصل بامبى حديثه سائلا : ولكن لماذا لم يتكلم أحدهما معنا ؟ .

قالت الأم : ليس هذا موسم الحديث معنا ، إن الآباء يتحدثون فى مواسم معينة ، علينا أن ننتظرهم حتى يأتوا هم إلينا ، وعلينا أن ننتظر حتى يتحدثوا هم إلينا.

إنهم يفعلون ذلك كما بدا لهم ورغبوا هم فيه .

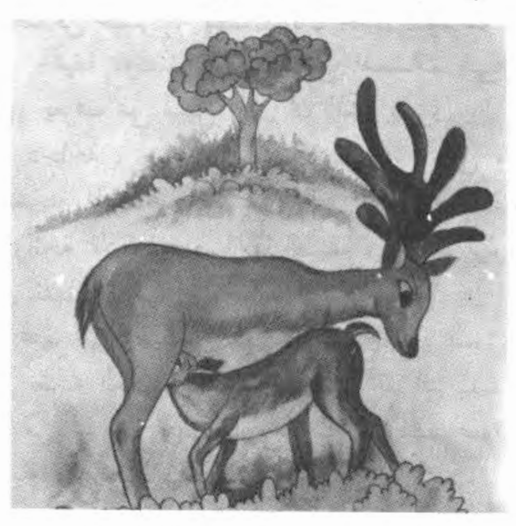
وسأل بامبى بقلب منقبض : هلا سيتحدث إلى أبى ؟ .

أجابت الأم وكأنها تعده بما يتمنى : طبعًا ... حين تكبر سيتحدث إليك ، وستبقى معه بعض الوقت .

مشى بامبى صامتًا بجوار أمه ، وملأت صورة أبيه عليه خياله ، أخذ يردد فيما بينه وبين نفسه : « ياله من وسيم رائع قوى كبير الحجم ، ياله من وسيم رائع قوى كبير الحجم » .

وكأنما الأم قرأت أفكاره فقالت له : « إذا امتد بك العمر يابنى وكبرت ، وإذا كنت حذرًا ولم تلق بنفسك إلى المهالك والأخطار ستصبح قويًا وسيما رائعًا كبيرًا مثل أبيك . وستكون لك قرون طويلة مثل قرونه أيضا .

تنهد بامبى . وامتلأ قلبه بهجة وآمالا .



- ٥ -

الفصل الخامس

ومضت الأيام ، وعاش بامبى مغامرات عديدة ، واستفاد خبرات كثيرة ، كل يوم يأتى بجديد ، يشعر أحيانًا بالقلق والحيرة ، ويجد لزاما عليه أن يتعلم الكثير والكثير .

أصبح قادرًا ليس على التسمع فقط بل التصنت وإرهاف السمع إلى كل ما يحدث قريبًا منه ، ويمايز كل شىء بصوت خاص مميز ، وليس فى هذا فن عيسر إنه ينصت الآن بحذق . وذكاء لكل حركة مهما كانت خفيفة ،وتصل إلى أذنه أدنى الهمسات التى تحملها إليه الرياح ، فهو يعرف على سبيل المثال أن الذى يجرى بين الشجيرات القريبة منه دجاجة ، ويتعرف بسهولة ووضوح على وقع الأقدام الخفيفة السريعة المتقطعة ، وتهتدى أذنه إلى صوت جرذان الحقل حين تعدو رائحة غادية فى مساربها الضيقة ، ويدرك ثرثرة حيوانات الخلد حين تلهو وتلعب ، ويطارد بعضها بعضًا بين الأشجار ، ولا يصدر عنها غير حفيف خافت ، ويسمع نداء النسر الصارخ ، ويعرف من نغمته الغاضبة المتنوعة أن صقرًا قد اقترب ، إذ يغضب النسر خوفًا من عدوان غريب يأتى لمقاتلته ، ويفهم صوت ضربات أجنحة الحمام ، وصيحات البط ، وغير ذلك كثير .

وتعلم الآن كيف يتشمم الهواء ، وأصبح خبيرًا فى ذلك مثل أمه سواء بسواء ، إنه يتنفس الهواء ويحلله بحواسه فى وقت واحد ، يقول لنفسه حين تهب الرياح : « هذا برسيم أو عشب » . أو أن صديقى الأرنب هناك ، ها أنذا أشم رائحته بوضوح .

ويدرك من رائحة أوراق الشجر والكرات البرى ونبات الخردل أن ابن عرس قد مر من هنا ، ويعرف أن الثعلب على مقربة من المكان إذا ما لامس الأرض بأنفه .

وشم الارض بقوة وعمق ، أو قد يعرف أن واحدًا من أفراد أسرته موجود بالقرب منه ، ربما تكون الخالة عينا وطفليها .

وألف الليل وأحبه وصادقه ، ولم يعد يريد الركض وضح النهار ، يؤثر الرقاد طول النهار فى ظل الأكمة المورقة الوارفة الظلال بجانب أمه ، وقد ينصت إلىأزيز الهواء فى شدة الحر ، ثم يروح فى النوم .

ويحدث بين الحين والحين أن يصحو من نومه ، ويتصنت ويتشمم ليكون على بينة من كل ما حوله ، ويطمئن بالاً حين يجد كل شىء على ما يرام ، لاشىء غير أن طيور القرقف تثرثر مع بعضها ، والذباب يطن ولا يهدأ أبدًا ، والحمام لا يكف عن الهديل تعبيرًا عن فيض حنانه ورقته ، ما الذى يعنيه فى هذا كله ؟ لا شىء ويغلبه النعاس وينام .

أنه يحب الليل الآن حبًّا شديدًا . كل شىء فيه حياة وحركة ،

طبعًا لابد وأن يكون حذرًا أثناء الليل أيضًا ، ولكن أقل حذرًا من النهار ، ويمكنه أن يذهب إلى حيث يشاء وحينما ذهب يقابل معارف وأصدقاء . كلهم أكثر هدوءًا واطمئنانًا فى الليل عن النهار .

وتهب العواصف مرة أو مرتين أثناء الليل أو النهار ، حدثت أول عاصفة بالنهار ، وأحس بامبى بالخوف كلما أظلمت الدنيا ، وسادت العتمة فى الفسحة التى يسكنها مع أمه ، خيل إليه أن الليل أرخى سدوله وحجب السماء فى منتصف النهار ، وارتجف بامبى حين هبت عاصفة هوجاء كادت تقتلع الاشجار التى بدأت تئن من شدة وطأتها ، وحين ومض البرق ، وقصف الرعد ، شل الخوف بامبى ومات فى جلده ، وظن أن هذه هى نهاية العالم ويوم القيامة الذى يتحدثون عنه ، جرى ليلحق بأمه التى قفزت مهتاجه منزعجة ، وأخذت تروح وتجيء على غير هدى داخل الأحراش عاجزة عن التفكير وعن فهم أى شيء . وهطلت الأمطار سيولا هادرة ، وجرى كل كائن يبحث عن مأوى يحميه ، وخلت الغابة ، ولكن لا مهرب من المطر ، الماء ينصب عنيفًا كالطوفان يقتحم كل مكان حتى أكثر الأحراش غلظة وكثافة ، ثم سكن البرق ، وكفت شعاعاته النارية عن النفاذ عبر قمم الأشجار ، وانحسر الرعد ، يسمعه بامبى الآن بعيدًا ، وسكن هو الآخر بعد قليل ، ووهنت دقات المطر على الأرض ، وإن ظلت نقراته رتيبة متصلة حوله ساعة أخرى ، وبدت الغابة كأنها تتنفس بعمق وسط هدوء طاغ ، وسرى

الماء فى مسار به إلى باطن الأرض ، ولم يعد أحد يخشى الخروج ، وزال شعور الخوف ، وغسلت الأمطار المخاوف وأزاحت عن النفوس الهواجس .

لم يحدث أن خرج بامبى وأمه إلى المرج فى ساعة مبكرة مثلما حدث هذا المساء ، لم تظلم الدنيا بعد ، ولا تزال الشمس على عرشها فى السماء ، والهواء منعش ، عبق معطر حلو لا مثيل له ، ترددت آلاف الأصوات بين صفوف أشجار الغابة ، لقد خرج كل من مأواه يعدو مهتاجًا ، تعتمل فى نفسه رغبة عارمة ليحكى قصة ما حدث .

وقبل أن يصلوا إلى المرج مروا جميعًا بجواره شجرة البلوط الضخمة الباسقة بالقرب من حافة الغابة والمطلة على الممر الذى يعبرون منه ، كان لابد وأن يمروا بجانب تلك الشجرة الضخمة الجميلة كلما قصدوا المرج .

كان المرج ينبض بالحياة ، وصل إلى هناك الأرنب الصديق ، واصطحب معه أسرته ، وكانت هناك أيضًا الخالة « عينا » وطفلاها وبعض معارفها ورأى بامبى الأبوين للمرة الثانية ، خرجا على مهل من الغابة فى اتجاهين متقابلين .. وظهر ذكر غزال كبير آخر ، وتجول كل واحد يرعى بين أعشاب المرج دون أن يلتفت لأى شىء آخر ، ولم يتحدث أى واحد مع الآخر ظل بامبى يقلب النظر فيهم بين الحين والآخر ، أخذ يتطلع إليهم باحترام وإن غلب عليه الفضول .

ثم تحدث إلى « فالين وجوبو » وإلى عدد آخر من الأطفال ، عبر لهم عن رغبته فى اللعب قليلا ، وافقوه الرأى جميعًا ، أخذوا يجرون ويركضون على شكل دائرة وكانت « فالين » أكثرهم خفة ومرحًا ، بدت أكثرهم نشاطا وحيوية ورشاقة ، وسرعان ما تعب جوبو ، فقد أرهقه الخوف والفزع من العاصفة ، إذ ظل قلبه أثناء العاصفة يدق دقات عالية سريعة ومسموعة ، ولا يزال حتى الآن يظن أن قلبه سيقفز من داخل صدره . إن جوبو يشكو من ضعف شديد ، ولكن بامبى يحبه لطيبته وسماحته ، ولمسحة الحزن الخفيفة التى تكسو وجهه دون أن يحدثك عنها .

مضى الوقت ، وعرف بامبى لذاذة طعم عشب المرج ، ورقة وحلاوة براعم أوراق الشجر والبندق ، ولحظ أنه كلما آوى إلى حضن أمه ليستكن إليه دفعته أمه بعيدًا . وتقول له : « لا .. أنت لم تعد طفلا صغيرًا وأحيانًا تقول له بحدة وانفعال : « ابعد ودعنى وحدى » . وحدث أن كانت أمه تنهض أحيانًا فى الفسحة الصغيرة داخل الغابة ، خلال منتصف النهار ، وتخرج لترعي دون أن تلتفت لتتبين هل يتبعها بامبى أم لا ؟ . وخيل إليه أحيانًا ، حين يكون فى جولة مع أمه عبر الممرات المألوفة ، أن أمه لا تعبأ به ، وتتعمد الانصراف عنه ولا تحاول أن تتأكد هل بامبى قريب منها أم بعيد .

وذات يوم رحلت الأم واختفت ، لم يكن بامبى يتصور أن هذا شيء ممكن الحدوث ، إنه أبعد شيء عن خياله ، ولكن هاهى الأم قد رحلت ، وأضحى بامبى لاول مرة فى حياته وحيدًا .

أصابه الذهول لما حدث ، وشعر بالضيق والقلق . وأحس بحاجة ملحة إليها ، وقف حزينًا يناديها ، ولكن لا مجيب .

تصنت وتشمم الهــواء ، ولكــن غابت رائحة الأم ، نادى ثانيــة نــداءً رقيقًا حانيًا مثيرًا كأنــه يستعطفها بالدمــوع « أمى ... . أمى ... . » ولكن دون جدوى . تملكه اليأس ، لم يحتمل الأمر . بدأ يمشى على غير هدى ، سار على نفس الدروب التى تعلمها ، يقف عند كل زاوية أو ركن ينادى ، وأوغل فى المشى بخطوات مترددة ، واليأس والخوف يملآن نفسه ، وأسقط فى يده أخيرًا حزينًا .

هام على وجهه عبر ممرات كثيرة هنا وهناك لم يطرقها من قبل ووصل إلى أماكن غريبة عليه ، ولم يعد يعرف أين هو الآن ولا إلى أين يسير ، وسمع صوت طفلين يناديان بصوت مثل صوته : « أمى ... . أمى ... . » جمد فى مكانه وأنصت . إنهما يقينًا جوبو وفالين ، لابد وأن هذا صوتهما .

هرع نحو مصدر الصوت ، لمح هناك لون فرائهما الأحمر ظاهرًا من بين أوراق الشجر ، رأى جوبو وفالين واقفين أحدهما بجانب الآخر تحت إغصان شجرة يناديان في حزن « أمى ... أمى ... » وأحسا بسعادة غامرة حين سمعا حفيفًا بين الاشجار ، ولكن خاب أملهما حين رأيا بامبى ، غير أنهما شعرا ببعض العزاء على أية حال . وسر بامبى لأنه لم يعد وحيدًا .

قال بامبى : لقد رحلت أمى .

ورد جوبو بصوت فيه شكوى وأنين : وكذلك أمنا رحلت أيضًا ... . أوو ... » وتطلع كل منهم إلى الآخر يائسًا .

سأل بامبى وهو يكاد يبكى وينشج : ترى أين ذهبا ؟ .

تنهد جوبو وقال : لا أعرف .

كان قلبه يدق بعنف ويتمزق .. وبدا يائسًا . وفجأة قالت فالين : أظن أنهما مع أبوينا ..

نظر إليهما كل من جوبو وبامبى فى دهشة . أحسا بخوف ورهبة ، وسألها بامبى وهو يرتجف : تقصدين أنهما فى زيارة لأبوينا ؟ .

وارتجفت فالين بدورها وإن تظاهرت بالحكمة ، وأنها خبيرة بأمور لا تعرفها ، والحقيقة أنها لا تعرف شيئًا ، بل ولا تدرى من أين واتتها هذه الفكرة ، ولكن حين سألها جوبو قائلا : « هل تظنين ذلك حقًا ؟ » هنا بدت على وجهها أمارات الجدية وأجابت : « نعم . أظن ذلك » .

إنه على أية حال رأى جدير بالاعتبار ، ولكن بامبى لم يشعر بالارتياح على الرغم من ذلك ، إنه لم يطق حتى مجرد التفكير فيه ، فقد بدا قلقًا حزينًا .

وانطلق . لم يشأ البقاء فى مكان ما . صحبه جوبو وفالين بعض الوقت . ونادوا ثلاثتهم : « أمى ... أمى ... » ثم توقف جوبو

وفالين . لم يجرؤا على الابتعاد أكثر من ذلك ، وقالت فالين : « ولماذا نمشى ونبعد عن هنا ؟ أمى تعرف أين نحن . لنبق هنا حتى يمكنها أن تعثر علينا حين تعود » .

ومشى بامبى وحده . طاف عبر الأحراش الكثيفة حتى وصل إلى فسحة صغيرة توقف بامبى قليلا ، وأحس فجأة وكأنه زرع فى الأرض وثبت فوقها ولم يستطع التحرك والابتعاد عنها .

وفجأة وجد أمه معه ثانية ، أخذت تثب بجواره فوق الأعشاب ، جريًا معًا جنبًا إلى جنب بأسرع ما يمكنهما ، أمه أمامه وهو وراءها . لم تهدأ خطواتهما إلا عند الفرجة التى يأويان إليها .

وسألت الأم بصوت خافت : هل رأيته ؟ .

لم يستطع بامبى الإجابة ، فقد تقطعت أنفاسه ، واكتفى بأن أومأ برأسه أن نعم .

قالت الأم : « ذلك هو »

وارتجفا ..

- ٦ -

الفصل السادس

أصبح بامبى الآن يعيش وحده أكثر الأوقات ، لم يعد يضيق بذلك مثلما كان يحدث أول الأمر ، قد تغيب أمه عنه أحيانًا ، ولا يهمه ألا تعود إليه مهما ناداها ، ثم قد تظهر فجأة على غير انتظار وتبقى معه مثلما كانا معًا من قبل .

خرج يتجول ذات ليلة ، لم ير جوبو أوفالين أو أحدًا آخر ، استحال لون السماء رماديًا ، ثم أظلمت الدنيا حتى بدت قمم الأشجار كأنها قبة تعلو الأرض وتغطيها من كل جانب ، ترددت أصوات هسهسة بين الشجيرات وارتفع حفيف أوراق الأشجار ، واندفعت أم بامبى خارجة كالسهم ، وأبصر بامبى شيئًا آخر يسابقها ويعدو خلفها ، لم يدرك بامبى بوضوح إذا ما كان ذلك الشيء هو الخالة عينا أم أبوه أم شخص آخر ، ولكنه عرف أمه للوهلة الأولى ، عرفها من صوتها على الرغم من أنها اندفعت بسرعة البرق ، كانت تصرخ ، ظن بامبى أنها تلهو وتلعب ، ولكن خيل إليه أن فى صوتها رنة خوف .

وذات يوم خرج بامبى ليطوف فى وسط الأجمة ، قضى بضع ساعات بين الأحراش ، وبدأ ينادى آخر الأمر ، لم يعد يحتمل البقاء

وحيدًا بغير أنيس ، أحس بالتعاسة تكاد تملأ عليه نفسه ، لذلك عاد ينادى أمه .

فجأة رأى أحد الأبوين يقف قبالته ويتطلع إليه بوجه صارم ، لم يحس بامبى بقدومه ، وشعر حين رآه بالفزع ، بدا هذا الغزال العجوز أقوى وأطول وأكثر غطرسة وكبرياء من الآخرين ، يشع من فرائه لون أحمر قاتم ، وينبعث من وجهه وميض فضى ، وتعلو رأسه قرون طويلة سوداء معقدة .

وسأل الغزال العجوز بامبى بنبرة حازمة قاسية : لماذا تصيح ؟

ارتعد بامبى خوفًا ، ولم يجرؤ على الرد .

واستطرد الغزال العجوز قائلا : « أمك ليس لديها وقت تضيعه معك الآن » أحس بامبى بالخضوع والاستسلام لصوته الآمر القاهر ، كما أعجب به فى الوقت ذاته . « ألا تستطيع الاعتماد على نفسك ، عيب ، اخجل من نفسك » .

أراد بامبى أن يقول إنه قادر على نفسه تماما ، وأن يعيش وحده أكثر الأوقات الآن ، ولكنه عجز عن الكلام ولم يحر جوابًا ، بدا طائعًا مستسلمًا ، وغلبه شعور بالخجل الشديد ، واستدار الغزال الأب وانصرف ،لم يدر بامبى أين ذهب ولا كيف ، وهل مشى بخطوات بطيئة أم عدوًا ، كل ما يعرفه أنه رحل فجأة مثلما جاء فجأة ، شد بامبى أذنيه ليتصنت ، ولكنه لم يسمع وقع أقدام راحلة أو صوت ورقة شجر تتحرك ، لذلك ظن أن الغزال الأب لابد

وأنه موجود بالقرب منه قابعًا فى مكان ما . وحاول أن يتشمم الهواء فى كل اتجاه . لم يهتد إلى رائحة تدله على شيء ، وتنهد بامبى بارتياح لأنه أصبح وحيدًا ، ولكنه أحس برغبة عارمة فى أن يرى الغزال الأب ثانية ويحظى بموافقته .

وحين عادت أمه لم يحك لها قصة اللقاء ، وكف عن مناداتها والالحاح فى استدعائها ، ولم تعد صورة الأب تفارق خياله ، يفكر فيه كلما تجول فى أنحاء الغابة . يحن إلى لقائه ، يود أن يقول له : « انظر ... ها أنذا لم أعد أنادى كل حين « أمى ... أمى ... » ولا ريب فى أن الأب سوف يسعده هذا منه ويمتدحه له .

ولكنه قص القصة على جوبو وفالين عندما التقى بهما فى المرج بعد ذلك ، واستمعا له باهتمام ، ولم يجدا عندهما ما يحكيانه إذ لم يصادفهما فى حياتهما شيء كهذا بعد .

وسأله جوبو بانفعال : « ألم تخف » ؟ .

اعترف له بامبى بأنه كان خائفًا قليلاً .

وقال جوبو : « لو كنت مكانك لمت فى جلدى هلعًا » .

وأجاب بامبى بأنه لم يكن خائفًا إلى هذا الحد ، لأن الغزال الأب كان كريما شهما .

وأردف جوبو قائلا : « لم يكن هذا ليفيد معى شيئًا . إنى كنت أخاف مجرد النظر إليه . إننى أفزع لرؤية البرق حتى أنه يعمينى عن الرؤية ،وبكل قلبى يخفق بسرعة وتتقطع أنفاسى » .

وغرقت فالين فى بحر من الأفكار والخيالات بعد أن سمعت قصة بامبى ولم تعد تفتح فمها بكلمة .

وعندما التقيا للمرة الثانية أقبل جوبو وفالين قفزًا كأنهما يتعجلان اللقاء ، لقد كانا وحدهما فترة من الوقت مثلما كان بامبى أيضًا ، وصاح به جوبو :

« كنا نفتش عنك طول الوقت » .

وقالت فالين (باهتمام) : « نعم ... لأننا عرفنا من هو ذلك الذى رأيته » .

قفز بامبى فى الهواء وكله رغبة فى أن يعرف . وسأل بأعلى صوته : من هو ؟ .

قالت فالين بجد ووقار : « إنه الأمير العجوز » .

وسألها بامبى : « من قال لك ذلك » ؟ .

أجابت فالين : أمى .

أذهلت الإجابة بامبى ،وسألها : « هل حكيتما لها القصة ؟ » .

– نعم .

وصاح بامبى غاضبًا : ولكنها سر .

حاول جوبو التملص فقال : « لست أنا بل فالين هى التى حكت لها » .

ولكن فالين صاحت بانفعال : « وما معنى سر ؟ لقد أردت

أن أعرف من هو ؟ » ، وها نحن جميعًا عرفنا وأصبح الموضوع مثيرًا لنا جميعًا .

كان بامبى يتحرق شوقًا لسماع كل شيء . وترك فالين تحكى .

– والامير العجوز هو أضخم ذكر غزال فى الغابة كلها ،ليس كمثله ذلك غزال آخر ، ولا يعرف أحدكم عمره ، كما لا يستطيع أحد أن يعرف أين يعيش ،ولا يعرف أحد أسرته ، وقليلون جدًا من أسعدهم الحظ ورأوه مرة واحدة طوال حياتهم ، ويحدث أحيانًا أن يمضى وقت طويل دون أن يراه أحد ونظن أنه مات ، ثم يظهر فجأة ، ويراه أحدنا لحظة ، فيعرف الجميع أنه لا يزال حيًا ، ولم يجرؤ أحد على سؤاله أين كان مختفيًا ، ولا يتحدث هو إلى أحد ، كما لا يجرؤ أحد على التحدث إليه ، ويسلك ممرات وسبلا لم يسلكها غيره ، ويعرف كل أسرار الغابة وأعماقها ، ولا يعترف بشيء اسمه خطر ، ويحدث أحيانًا أن يقاتل الأمراء الآخرون بعضهم بعضًا ، وقد يكون قتالهم مزاحًا ، أو صراعًا للانتصار على الآخرين ، ولكن ومنذ سنوات طويلة ، لم يجرؤ أى أمير على منازلة ذكر الغزال العجوز سيد الغزلان أجمعين ، ولم يبق على قيد الحياة أى واحد ممن نازلوه قديما وصرعه ، إنه الأمير الأعظم .

صفح بامبى عن جوبو وفالين إذ أفشيا السر لأمهما ،بل أسعده أن أكتشف كل هذا الأمور الهامة ، ولكن سره أيضًا أن جوبو وفالين كانا يجهلان هذه المعلومات مثله ، إنهما لا يعرفان أن الأمير

الأعظم قال له : « ألا تستطيع الاعتماد على نفسك ؟ استح واخجل من نفسك » . وازداد سروره لأنه لم يحك لهم هذه الواقعة ، إذ لو عرفاها لكانت فضيحة تجرى على كل لسان فى الغابة .

عادت أم بامبى بعد أن توسط القمر صفحة السماء فى تلك الليلة ، رآها فجأة واقفة أمامه تحت شجرة البلوط الضخمة تتلفت حولها بحثًا عنه . لم يكد يراها حتى اندفع نحوها .

تعلم بامبى فى تلك الليلة شيئًا جديدًا . كانت أمه متعبة جائعة ، لم يمشيا طويلا كالعادة . أكلت الأم بعض العشب فى المرج لتهدئ من جوعها ، سار الاثنان جنبًا إلى جنب وهم يلكون بعضًا من العشب كل يلوك بعض العشب يتبلغ به ، وقادتهما خطواتهما أكثر وأكثر إلى داخل الغابة .

وبينما هما سائران سمعا حفيفًا عاليًا بين الشجيرات . وقبل أن يخمن بامبى حقيقة الصوت بدأت أمه تصيح صيحات عالية مثلما اعتادت أن تصيح فى حالة الخوف الشديد ،أو الغضب والهياج . أخذت تصيح وتثب ، ثم تتوقف لحظة لتصرخ من جديد ،حاول بامبى أن يمايز الأشكال التى تقترب كلما ارتفع صوت الحفيف ، ها هى اقتربت منهما الآن ووضحت أشكالها ،إنها تشبه بامبى وأمه والخالة عينا وكل العائلة ،ولكنها ضخمة قوية الجسم ،ظل بامبى يتفرس فيها مشدوهًا .

فجأة بدأ بامبى يثغو : أوه بو ... بو ، كان يثغو على الرغم منه ، لم يتمالك نفسه ، ومر الركب أمامه بخطواته البطيئة الثقيلة

القوية ، إنه يضم ثلاث أو أربع مخلوقات تسير متتابعة الواحد بعد الآخر ، وكان آخرها هو أكبرها جسما ، له معْرفة طويلة منفوشة تحيط برقبته ، وقرون تشبه شجرة باسقة ، حبس« بامبى »أنفاسه وهو يتطلع إليهما ، ووقف يثغو ثغاء صادرًا من القلب يعبر عن دهشته وإعجابه ، إنه لم ينفعل مثلما انفعل هذا المرة ، أحس بالخوف ، ولكنه خوف من نوع خاص ، إنه خوف ممزوج بالإعجاب ، والإجلال ، شعر بضآلة نفسه ، بل إن أمه بدت فى عينه صغيرة كأنها انكمشت ، وملأه شعور بالخجل لا يفهم سببه ، كما هزه خوف في الوقت نفسه ، ظل يثغو دون توقف ،ويجد فى ثغائه المستمر راحة لنفسه .

مضى الركب ، لم يبق شىء يراه أو يسمعه . حتى أمه صمتت ، لا شىء غير أصوات ثغاء خافتة قصيرة يصدرها بامبى بين حين وآخر ، لاتزال الصدمة تملك عليه نفسه .

قالت الأم : « اثبت وتماسك . لقد رحلوا » .

وهمس بامبى فى أذنها : « آه يا أمى ... . من هؤلاء ؟ » .

قالت الأم : حسن ... إنهم فى نهاية الأمر طيبون لا خطر منهم ،هؤلاء هم أعمامك الكبار ، إنهم ظباء مثلنا ، ولكنهم نوع آخر من الظباء اسمه « الألك » . ويمتاز هذا النوع بأنه ضخم وقوى ، أقوى وأخضم منا كثيرًا .

ويسألها بامبى : هل لا خطر منها ؟ .

أوضحت له الأم ما يريد أن يعرفه ،إنها بصورة عامة ليست

خطرة . نحن نسمع حكايات كثيرة عن أعمال خطيرة ارتكبتها ، ولكن على الرغم من كل ما يقال لا أعرف مدى صدقة ،لم يحدث أن آذتني أو آذت أى واحد من معارفى .

وسألى بامبى : ولماذا تؤذينا ؟ إنهم أعمامنا ، قال هذه الكلمات وكأنما أراد أن يهدئ من روعه وهو يرتجف .

أجابت الأم : « لم يحدث أن آذتنا أبدًا ، ولكننى لا أدرى لماذا أخاف كلما رأيتهم ، أنا نفسى لا أفهم سببًا لذلك ، وإنما هذا هو ما يحدث دائمًا » .

استعاد بامبى ثقته بعد سماعه هذه الكلمات وإن ظل غارقًا فى التفكير ، كانت البومة تقف فوق غصن شجرة يعلوه تماما ، أخذت البومة تنعب بصوتها المروع ، كان بامبى لاهيًا عنها بأفكاره ونسى التظاهر أمامها بالخوف ، حومت البومة حوله وسألته : ألا تخافنى ؟ .

قال بامبى : طبعًا أخافك دائما .

فرفرت البومة ضاحكة بصوت خافت ثم قالت : « أرجو ألا يسوؤك هذا منى إننى أمزح » ، ثم نفشت ريشها وأضحت مثل الكرة ، ودست منقارها بين ريشها الأبيض ، واكتسى وجهها بأمارات الجد والحكمة ،كانت راضية تماما .

أفرغ بامبى لها كل ما فى قلبه ، وباح لها بأسراره . همس قائلا : « هل تعرفين ؟ ... أنتابنى خوف شديد منذ لحظة » .

استاءت البومة ، وقالت : « حقًا » ..

حكى لها بامبى عن مقابلته لأقاربه العمالقة .

صاحت البومة : « لا تحدثنى عن الأقارب ... لى أقارب أنا أيضًا ولكننى أكتفى بالطيران هنا نهارًا ،ولهذا فهم جميعًا دونى الآن على الأرض ، لا لا ... لا فائدة من الأقارب ، إذا كانوا أضخم منك وأكبر فلا خير فيهم لك ،وإذا كانوا أصغر منك وأقل حجمًا وقوة فلا قيمة لهم ، وإذا كانوا أكبر منك فإنك لن تحتملهم بسبب كبريائهم ، وإذا كانوا أقل منك لن يحتملونك لكبريائك ، أفضل ألا تكون لى علاقة بأحد .

وقال بامبى ضاحكًا : « ولكننى لا أعرف حتى أقاربى ، لم أسمع عنهم ، ولم أرهم من قبل » . قالت البومة الحكيمة تنصحه : لا تشغل بالك لهذا النوع من الناس . صدقنى » ، ودارت بعينيها تحركهما حركة ذات معنى . ثم قالت :

صدقنى ... هذه أفضل طريقة ، الأصدقاء خير من الأقارب ، انظر إلى أنا وأنت . لسنا أقارب ولكننا صديقان حميمان كأحسن ما يكون الأصدقاء وهذا أفضل كثيرًا » .

أراد بامبى أن يقول شيئًا ، غير أن البومة الحكيمة واصلت حديثها قائلة : « اسألنى فإن لى خبرة كبيرة بهذه الأمور . صدقنى ، أنت لا تزال حديثًا صغيرًا ، وأنا أعرف أكثر منك ، هذا فضلا عن أننى لا أحب أن أشغل بالى بالشئون العائلية » ، ودارت عيناها علامة التأمل العميق ، واكتسى وجهها بجدية تثير الإعجاب ، ولم يكن أمام بامبى غير الصمت .

- ٧ -

الفصل السابع

وانقضت ليلة أخرى ، وأقبل الصباح بحادثة ، كان صباحًا مشرقًا ، نديًا ، منعشًا . عبقت الأوراق فجأة بعطر شذى فوق أشجارها ،وتصاعدت من المرج سحب ذكية الرائحة غلفت قمم الأشجار .

سار بامبى تحت شجرة البلوط فى المرج ، تألق المرج بقطرات الندى البراقة ، وعبق برائحة العشب والأزهار والأرض الندية ، وامتلأ بهمسات آلاف الكائنات الحية ، ووقف الأرنب الصديق هناك شاردًا كأنه يفكر فى أمر هام ، ومرت بجانبه دجاجة تمشى بخطوات بطيئة ، تلتقط بمنقارها بعض البذور ، وتتلفت فى حذر يمينًا وشمالا ، وتلألأ ريشها البراق مع ضوء الشمس .

وكان أحد أمراء الغزلان واقفًا إلى جانبه ، لم ير بامبى من قبل أحد الآباء الكبار قريبًا منه إلى هذا الحد ، وقف ذكر الغزال قبالة بامبى بجانب شجرة البندق ، وقد أخفته بعض الأغصان ، لم يتحرك بامبى من مكانه ، انتظر حتى يظهر الأمير بكل جسمه ، وتساءل فى نفسه هل ستواتيه الجرأة على التحدث إليه ، تلفت حواليه لعله

يرى أمه ويسألها عن ذلك ، ولكن أمه تقف بعيدًا عنه بجوار خالته « عينا » ، أبصر فى هذه اللحظة جوبو وفالين قادمين عدوا من وسط الغابة ، غير أن بامبى ظل جامدًا فى مكانه يفكر فى أمر نفسه وماذا يفعل مع الأمير ، لو شاء الذهاب إلى أمه وإلى الآخرين فسوف يمر بجانب الأمير ، وأحس بأنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، وتفكر قليلا وقال فى نفسه : « حسن .. لا داعى لأن أسأل أمى . سبق أن تحدث إلى الأمير العجوز ولم أخبر أمى عن هذا ، سأمر بجانبه وأقول له : « صباح الخير أيها الأمير » ، وأحسب أنه لن يضيق بذلك . وإذا أغضبه كلامى فسوف أجرى بأسرع ما أستطيع » . تردد بامبى قليلا ثم حسم أمره ، وقرر أن يفعل ذلك .

فى هذه اللحظة خرج الأمير من وراء شجرة البندق ،وسار وسط المرج .

قال بامبى فى نفسه : إذن الآن .. وهنا حدثت جلبة صاخبة كأنها هزيم الرعد .

جفل بامبى وانكمش على نفسه لا يدرى ماذا حدث ، ورأى الأمير يقفز فى الهواء أمام عينيه ويندفع إلى وسط الغابة فى وثبة واحدة .

تلفت بامبى حوله مذهولا ، لا يزال صوت الرعد يتردد يصم الآذان ، وأبصر أمه وخالته عينا وجوبو وفالين يفرون إلى وسط الغابة ، وهرع الصديق الأرنب كأنه مجنون فى حالة فزع ، وجرت الدجاجة وقد نفشت ريشها ، وأحس أن الغابة تحولت فجأة إلى

شيء جامد ليس فيها نأمة ولا حركة ، تملكه الخوف ، وقفز يعدو وسط الأحراش ،لم يكد يقفز بضع قفزات حتى أبصر الأمير راقدًا على الأرض بغير حراك ، وقف«بامبى»وقد تجمدت أطرافه من شدة الهلع ، إنه لا يفهم معنى ما يراه ، الأمير طريحًا ينزف دمًا غزيرًا من جرح كبير فى كتفه لقد مات .

سمع صوتًا يأمره : « اجر ..لا تقف » ، إنه صوت أمه التى اندفعت نحوه فى قفزة واحدة وصاحت به « اجر .. اجر بأسرع ما تستطيع » .. لم تتوقف بل اندفعت فى عدوها كالسهم ، وبامبى وراءها طائعًا ، جرى بأسرع ما يستطيع .

سأل أمه : « ما هذا يا أمى ؟ ... ما الذى حدث ؟ » .

قالت أمه وهى تلهث : « إنه ... . هو » .

ارتجف «بامبى»وواصل العدو خلف أمه ، ثم توقفا بعد أن تقطعت أنفاسهما .

وتلفت بامبى حوله ، لم ير أمه .

وقال بامبى فى نفسه : ماذا حدث ؟ ترى هل الأمير هو الذى رأيته أنا بين الأشجار ؟ ولكنه لم يقتلنى : تذكر بامبى ذلك الأمير الملقى على الأرض والدم ينزف من كتفه ، لعله مات الآن ، سار بامبى فى طريقه ، وامتلأت جنبات الغابة ثانيًا شدوًا وغناء . آلاف الأصوات تغنى ، واخترقت أشعة الشمس قمم الأشجار ، وانتشر الضوء فى كل مكان ، وتنفست أوراق الشجر ، وصاحت النسور

فى عنان السماء ، بينما نقار الخشب يدق بمنقاره سيقان الشجر وكأن شيئًا لم يحدث ، لم يكن بامبى سعيدًا ، أحس بشىء ما يتهدده ، شعر بخطر مجهول لا يعرفه ، إنه لا يفهم كيف يعيش الآخرون سعداء وقد خلا بالهم من أى شىء يتهدد حياتهم بينما الحياة قاسية محفوفة بالأخطار ، وتملكته رغبة عارمة فى أن يتوغل أكثر وأكثر وسط الغابة ، إنها تغرى باكتشاف أعماقها ، وقال فى نفسه لعلنى أجد مكانًا أمينًا حصينًا آوى إليه أُختبئُ فيه ويحمينى ، لم يعد يرغب فى العودة مرة ثانية إلى المرج .

تحرك شىء ما فى هدوء وخفة بين الأشجار ،ارتد بامبى خائفا ، أبصر ذكر الغزال الضخم واقفًا قبالته ، وارتعد بامبى ، حاول أن يجرى بعيدًا ولكنه تمالك نفسه وظل فى مكانه ، حدق فيه ذكر الغزال بعينيه الواسعتين ونظراته العميقة الثاقبة ، ثم قال :

« هل خرجت وحدك قبل ذلك ؟ » .

أجاب بامبى بصوت خافت وقلبه يكاد يقفز من حلقه : نعم .

وسأله ذكر الغزال الضخم : وأين أمك ؟ .

وأجاب بامبى ولا يزال صوته خافتًا واهنًا : لا أعرف .

ظل الغزال العجوز يحدق فيه فترة ثم قال : ولم لا تصرخ وتناديها ؟ .

أمعن بامبى النظر إلى الوجه الأشيب النبيل ، وتأمل ما فيه من

كبرياء وقوة ، ونظر إلى قرونه الطويلة وأحس فجأة بالشجاعة تملأ نفسه ، وقال فى جرأة : أستطيع أن أبقى وحدى الآن .

تأمله الغزال العجوز قليلا ، ثم سأله فى هدوء : ألست أنت الطفل الصغير الذى رأيته يوما يبكى ويصيح من أجل أمه ؟ .

أحس بامبى بالخجل والحرج ، ولكنه ظل متمالكًا نفسه ، محتفظًا بشجاعته ، واعترف له قائلا : نعم هو أنا .

حدق فيه الغزال العجوز فى صمت ، وخيل إلى «بامبى» وكأن نظراته العميقة أضحت أقل حدة وأكثر هدوءًا واعتدالا . وقال له : لقد وبختنى بعنف يومها يا أمير لأننى أخاف البقاء وحدى ، ومنذ ذلك الحين لم أعد أخاف .

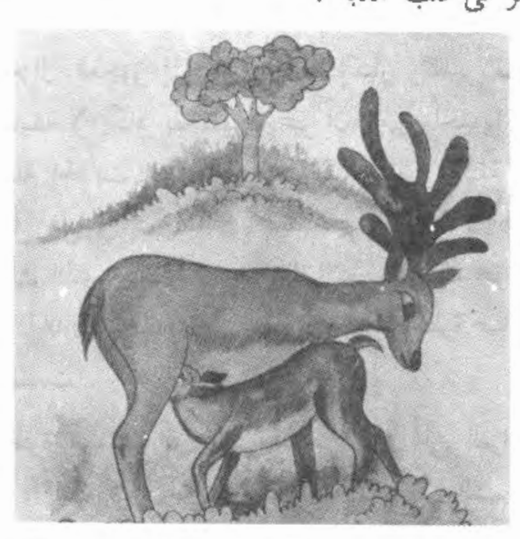
نظر الغزال العجوز إلى «بامبى» نظرة إكبار وتقدير ثم ابتسم له ابتسامة خفيفة لا يكاد يلحظها . غير أن «بامبى» أحسها ، وشجعته على مواصلة الحديث فقال له وفى نفسه شعور بالثقة : « سيادة الأمير النبيل هل لى أن أسألك عما حدث ؟ فأنا لا أفهم شيئًا . من هو ذلك الذى يتحدثون عنه دائما ويقولون إنه هو » ، ولكنه توقف عن الحديث خائفًا حين نظر إليه الأمير نظرة صارمة وكأنها تطالبه بالصمت .

وبعد فترة صمت ،رأى «بامبى» الأمير يحدق فى الفراغ البعيد . ثم قال : « استجمع حواسك كلها ، السمع والشم والبصر ،

واستخدمها لنفسك فى حذر ،استكشف طريقك لنفسك » ، ورفع رأسه ذا القرون العالية وقال : « وداعًا » .. ولم يقل شيئًا آخر . واختفى .

وقف بامبى جامدًا حائرًا يريد أن يصرخ ، لكن كلمة الوداع لا تزال تطن فى أذنيه ، لقد قال له وداعًا وهو ما يعنى أنه ليس غاضبًا منه هذه المرة .

أحس بامبى بالكبرياء يسرى فى عروقه ، وشعر بالجدية تملأ عليه نفسه ، نعم الحياة قاسية محفوفة بالأخطار ، ولكن ليكن ما يكون فإنه سيتعلم كيف يحتمل ويواجه الأخطار ، وسار على مهل متوغلا أكثر وأكثر فى قلب الغابة .



- ٨ -

الفصل الثامن

لاحظ بامبي أن العالم تغير ، وكان من الصعب عليه أن يألف هذا العالم بعد أن تبدل ، عاش وأمه حياة يسر ورخاء ، ثم حلت بهما أيام عسر وشدة ، لم يعرف بامبى فى حياته غير الوفرة والثراء ، وظن أن النعيم دائم ، والطعام الوفير ميسور ، لم يحمل هم ذلك قط ، ولم يتصور أن سيأتى يوم يشغل باله بأمر الطعام ، اعتقد أن الحياة ستظل دائما كريمة معه ، شديدة السخاء ، وأنه سينعم بمأوى دائم الخضرة ، وارف الظلال ، تحميه الأغصان المورقة من أعين الرقباء .

ولكن تغير كل شىء حوله بدون أن يدرك كيف حدث هذا التغير ، حقًّا وقعت بعض الأحداث ، ولكنه ظنها أحداثًا عارضة ، وأن كل شىء سيبقى كما هو ، كان يبتهج حين يرى أبخرة الضباب تتصاعد تملأ المرج فى الصباح ، أو حين يراها تهبط فجأة من السماء الرمادية عند الفجر ، ثم تنقشع مع إشراقة الشمس وتمتلئ نفسه سعادة حين يرى الثلج يغطى أرض المرج بلونه الأبيض البراق ،

ويستهويه أحيانًا أن ينصت إلى أبناء عمومته من الظباء ، ويخيل إليه كأن الغابة ترتجف كلها حين تسمع أصواتها الملوكية ، واعتاد بامبى أن ينصت إليها فى وجل ، ولكن قلبه يخفق بشدة ، ويفيض إعجابًا حين يسمعها تناديه ، وتذكر أن الملوك لها قرون طويلة ذات فروع مثل الأشجار ، وبدا له أن أصواتها قوية مثل قوة قرونها ، واعتاد كلما سمع أصواتها أن يقف جامدًا فى مكانه بغير حراك ، كان صوتها يتدفق نحوه كالموج القوى الطاغى فيه حنين وغضب وكبرياء ، ويحاول بامبى عبثًا السيطرة على مخاوفه ، ولكن مخاوفه تستبد به وتغلبه كلما سمع تلك الأصوات ، ومع هذا يشعر فى أعماقه بفخر وكبرياء لأنها أصوات صادرة عن أقارب له ، وأحس فى الوقت ذاته ببعض الضيق ، لأنه لا يستطيع التحدث إليها . ويضايقه أنه يشعر أمامها أنه دونها وأقل منها ، وإن كان لا يدرى بوضوح سببًا لذلك .

ولكن بعد أن انقضى موسم التزاوج ، وهدأت عقيرة الذكور المجلجلة ، هنا بدأ بامبى يلحظ أشياء أخرى تحدث من جديد ، إذ بينما كان يتجول فى الغابة أو إذا ما كان راقدًا فى بيته يسمع أوراق الأشجار المتساقطة تهمس بين الأشجار ، ظل يسمع لها حفيفًا لا يهدأ حتى ترفرف فى الهواء بعد أن تسقط من فوق الأغصان ، يسمع صوتًا رقيقًا لا ينقطع يئز فى الهواء متجهًا إلى الأرض ، آه ما أجمل الاستيقاظ مع هذه الأصوات ، وما أعذب

النوم مع تلك الهمسات الغامضة الغريبة الحزينة ، وسرعان ما تراكمت أوراق الأشجار ، وأصبحت أكواما مكدسة مفككة فوق الأرض ، وكلما وطئتها الأقدام تطايرت وصدرت عنها خشخشة رقيقة خافتة ، وتدفعها الأقدام جانبًا مع كل خطوة ،فترتفع أكوام الأوراق وتعلو يوما بعد آخر .

واستفاد بامبى كثيرًا ، إذ تعود على الحذر الشديد فى تلك الأيام ، حرص على أن يتشمم الهواء ، وأن ينصت إلى كل الأصوات ويمايزها ، واستفاد من خشخشة الأوراق حين يسمع صوتها « شى شى .. شى » لأنها تحذره من بعيد قبل فوات الأوان ، يسمع خشخشتها مع أخف اللمسات فتنذره ويجد فيها الحارس الأمين .

ثم جاء موسم الأمطار . شاهد الأمطار تهطل غزيرة منذ الصباح الباكر حتى المساء ، وقد تستمر فى السقوط وتصل الليل بالنهار ، أو تمتد ليومين متتالين ، تهدأ أحيانا لتعود قوية غزيرة من جديد ، وأحس الهواء رطبًا باردًا ، والدنيا كلها غارقة فى مياه المطر . وإذا حاول أن يمد فمه ليلتقط بعض العشب امتلأ فمه بالماء ، وإذا جذب غصنًا صغيرًا بأسنانه اندفع نحوه سيل عارم من ماء المطر ، وانصب عنيفًا ليملأ عينيه ومنخاريه ، وصمتت أوراق الشجر ، فلم يعد يصدر عنها صليل ، إنها ترقد الآن شاحبة على الأرض ، غارقة فى الماء والوحل ، صامتة ساكنة بلا صوت ، وأدرك بامبى لأول مرة أن المطر شىء حين يهطل أياما متصلة ويبلل فراءه وجلده ، لم يسقط الثلج بعد ، ولكنه يشعر بالحنين إلى الجو الدافئ ، وأصبح

يخشى الخروج من بيته ليتجول وهو على هذه الحال غارقًا فى الماء ، ولكن حين هبت ريح الشمال عرف بامبى معنى البرد . لم يعد يفيده كثيرًا أن يدس نفسه فى حضن أمه .

ظن أول الأمر أن من المفيد والممتع أن يلتصق بأمه ، ويكفيه دفء أحد جانبيه على الأقل ، ولكن ريح الشمال تهب عاتية غاضبة تخترق الغابة طول النهار والليل ، أحس كأن قوة مجنونة ثائرة تدفعها لتمزق الغابة وتقتلعها من جذورها ، والأشجار تئن وتقاوم فى عناد ، كأنها فى معركة ضد الريح الشرسة للدفاع عن النفس ، يسمع أنين الأشجار وتأوهاتها وصرخاتها الحادة حين تتشقق الفروع ، ويسمع طقطقة غاضبة بين حين وآخر كلما تصدع ساق وانكسر ، ويخيل إليه أن الشجرة المهزومة تصرخ من قسوة جراحها ، إنه لا يسمع غير صراخ وعويل الأشجار بعد أن قهرت الريح الشرسة كل الأصوات وأسكتتها .

أدرك بامبى أن أيام الشدة والمعاناة والحاجة قد حلت ، وعرف كيف غيرت الأمطار والريح صورة العالم . تجردت الأشجار ووقفت عارية بدون أوراق ، وخيل إليه كأنها تمد فروعها وأغصانها البنية إلى السماء تسألها الرحمة ، وذوت الأعشاب على الأرض وتضاءلت كأنها غاصت فى باطن الأرض ، حتى مأواه بدا له عاريًا حزينًا . ولم يعد قادرًا على أن يخفيه عن الأعين مثلما كان من قبل ، إنه مفتوح مكشوف من كل الجوانب .

وذات يوم ، وبينما كان غراب صغير يحوم فوق المرج ، سقط جسم بارد أبيض فى عينيه ،ثم تساقط بعد ذلك مرة بعد أخرى ، وأحس كأن نقابًا رقيقًا قد أحاط بعينيه ، بينما تتراقص من حوله ندف بيضاء صغيرة .

كان بامبى فرحًا أول الأمر بالثلج ، الجو هادئ رقيق ، والسكون يسود كل شيء حوله ، ورقائق الثلج البيضاء تتساقط متتابعة ، واكتست الأرض برداء أبيض ناصعًا ، واختلفت صورة العالم أمام عينيه ، بدت الدنيا أكثر خفة ومرحًا ورونقًا ، وظن «بامبى »أن الشمس لو أشرقت بعض الوقت فسوف يستحيل كل ما حوله إلى أجسام ناصعة البياض تتلألأ وتعشى الأبصار .

ولكن«بامبى»لم يعد يسره أن يرى الثلج ، بل بدأ يضيق به بعد أن تعذر عليه العثور على الطعام ، كان عليه أن يحفر الثلج بحوافره ويبذل فى سبيل ذلك جهدًا مضنيًا ، قبل أن يعثر على ورقة عشب واحدة ، وأصابته قشرة الثلج بجروح فى قدميه ، ويخشى أن تكسر القشرة ساقه مثل ما حدث مع جوبو ، حقًا إن جوبو ليس من النوع الذى يحتمل الآلام والمشاق ، وكان مصدر تعب ومشكلات لأمه .

وفى هذا الفصل يجتمع شمل الغزال ،ويسير قطعانًا وأسرابًا وتوثق بينهم علاقة الصداقة ، وهكذا اعتادت الخالة « عينا » أن تحضر ومعها طفلاها ، وانضمت إلى الفريق مارينا وهى غزالة شابة ، أما العجوز « نيتلا » فلم تكن تفارقهم ، وهى غزالة

تعتد بنفسها ، غنية بخبرتها ، إذ تعرف الكثير عن كل شيء .. وكثيرًا ما تقول « لا .. لا لم أعد أطيق اللعب مع الأطفال ، لقد سئمت اللهو والمزاح » .

وسألتها فالين ذات يوم : « وما الفارق إذا كان الأمر مزاحًا ؟ » .

ويبدو على« نيتلا »الضيق والغضب وتقول : « لكنه مزاح صبيانى لم أعد أحتمله » .

واعتادت عجائز الغزال أن تسير معًا جنبًا إلى جنب ، تقضى وقتها فى الثرثرة ، ويحاول أطفال الغزال وصبيته أن يسترقوا السمع ، ولكن آذانهم لا تلتقط غير عبارات قليلة تبدو غامضة ، ويحدث أحيانًا أن ينضم إليهم هذا الأمير أو ذاك . ويسود أول الأمر جو فيه جدية وصرامة ، ويشعر الأطفال ببعض الخجل ، ولكن سرعان ما يتغير كل شيء وتخف القيود بعد أن تطول الصحبة ، وأعجب بامبى بالأمير رونو لقوته وعظمته ، وأحب الصبى كاروس لأناقته ووسامته ، كان بامبى دائم التطلع إليهما ، يتأمل جلدهما المرقط الناعم اللامع ، إن فيهما عظمة النبلاء .

ويشعر بامبى بسعادة طاغية إذا ما تحدث عنه أحد الأمراء ، وكان رونو يعرج قليلا فى مشيته ، لأن بقدمه الأمامية اليسرى ورمًا خفيفًا ولهذا اعتاد أن يسأل كل من يراه ، « هل تلحظ أننى أعرج فى مشيتى ؟ » ويؤكد له كل الأصدقاء والأقارب أن لا أثر

لهذا العرج الذى يتحدث عنه ، وكان هذا ما يريد رونو أن يسمعه ليطمئن على نفسه .

وقد استطرد رونو فى حديثه قائلا : « نعم – لقد أنقذت نفسى من مأزق حقيقى ذلك اليوم » ، ثم يبدأ يحكى كيف فاجأه ذلك الكائن المرعب وقد أطلق النار عليه ، ولكن لحسن الحظ أصاب قدمه فقط ، وكاد يجن من شدة الألم ، ولم يفقد رونو صوابه فى الحقيقة بل أحسن التصرف ، إذ تحامل على نفسه وشرع يجرى على أقدامه الثلاثة . ولم يضعف على الرغم من قسوة الألم ، وثابر وصبر وظل يجرى لأنه أحس أنه يتعقبه ، وهكذا حتى أرخى الليل سدوله وأخفاه عن الأعين . واستراح ، وما إن تنفس الصبح حتى استأنف العدو ثانية إلى أن ذهب إلى مكان أحس فيه بالأمان . ولبث مختبئًا فى مكمنه حتى شفى الجرح . وعاود الظهور بعد ذلك ليتحدث عن بطولاته ، ويعرج بإحدى أقدامه ويظن أن أحدًا لا يلحظ ذلك .

واعتاد أن يقضى أكثر أوقاته الآن مع بامبى ويقص عليه قصصًا كثيرة ، وبدأ بامبى يسمع عن ذلك العدو الخفى أكثر مما كان يسمع عنه قبل لقائه برونو وأصدقائه ، قالوا : إن له صورة مروعة تثير الفزع فى النفس ، وأن أحدًا لا يجرؤ على النظر إلى وجهه الشاحب ، وعرف بامبى كل هذا بخبرته الشخصية ، وحدثوه عن رائحته ،قالوا إن رائحته تختلف فى كل مرة عن سابقتها ، ولكنك تدركها على الفور وتعرف أنه هو ، ذلك لأنه مثير دائما ، غامض مروع .

وحدثوه كيف أنه غريب الخلقة ، يسير على قدمين اثنتين ، ولكن له يدان فيهما قوة وجبروت لا مثيل لهما ، كان بعضهم لا يعرف معنى اليدين ، وتطوع أحد الخبراء من كبار السن بتوضيح المعنى ، وهنا أثيرت العجوز نيتلا وقالت : « لا أرى فى هذا ما يثير دهشتى ، فإن السنجاب له كل ما تحكون عنه بل وكذلك الجرذان . وأشاحت بوجهها بعيدًا فى قرف واحتقار .

وصاح البعض « لا . لا » وأوضحوا أنه مختلف تماما عن كل هذه الكائنات ، ولكن العجوز نيتلا لم تقتنع ولم ترضخ لكلامهم وقالت بصوت عال : « وماذا تقولون عن النسر ؟ أو الصقر ؟ أو البومة ؟ كل من هؤلاء له ساقان فقط ، وإذا أراد أحدهما أن يمسك بشيء فإنه يقف على ساق واحدة لا ساقين ، ويقبض على الشيء بقدمه الأخرى وهذا فى يقينى أصعب مما تحكون عنه » .

إن العجوز نيتلا تأبى فى عناد أن تكشف عن إعجابها بأى شيء فى هذا الكائن الغريب المرعب . إنها تكرهه من كل قلبها ، وطبعًا لم يعارضها أحد فى شعورها لأنهم جميعًا يكرهونه ، ولكن الحديث ازداد تعقيدًا عندما قال البعض إن له يدًا ثالثة ، وليس يدين فقط .

عادت العجوز نيتلا إلى حديثها وقالت فى ازدراء : « هذه قصة قديمة سمعت عنها ولا أصدقها » .

وتدخل رونو سائلا : « هل صحيح ذلك ؟ ، ترى بماذا أصاب قدمى إذن ؟ هل لأحدكم أن يخبرنى ؟ .

اجابت العجوز نيتلا دون اهتمام : « هذا شأنك يا عزيزى .إنه يصب أيًّا مِنًّا » .

وقالت الخالة عينا : « لقد عشت حياة طويلة خبرت فيها أمورًا كثيرة ، وأحسب أن قصة اليد الثالثة فيها شىء من الصدق » .

وقال الشاب كاروس فى أدب : « أتفق معك يا خالة .. فإن له صديقًا ..غرابًا .. وصمت لحظة وقد أحس بالحرج ، وتلفت حوله يتطلع إليهم ، يدور عليهم بنظرة الواحد تلو الآخر وكأنه يخشى أن يسخروا منه ، ولكنه حين أحس أنهم ينصتون إليه باهتمام واصل حديثه قائلا : « هذا الغريب يعرف أمورًا كثيرة ولديه معلومات عجيبة ، بل أجد من الواجب علىّ أن أقول إنه مثقف خبير واسع الثقافة بصورة تثير الدهشة ، وقال لى ذات يوم عنه إنه له ثلاث أيادى حقًا ، ولكنه ليس دائما كذلك ، وقال لى الغراب إن يده الثالثة هى أسوأ الأيادى بل أسوأ شىء فيه ، فهى ليست ثابتة فى جسمه مثل يديه الأخريين أو مثل قدميه ، بل نراه يحركها هنا وهناك ويرفعها أحيانًا فوق كتفه ، ويقول الغراب أيضًا إنه يستطيع أن يقول بالضبط متى يكون هو أو من هم على شاكلته خطرًا حقيقيًا ، ويضيف أنه إذا أقبل بدون يده الثالثة فإنه لا يمثل خطرًا على الإطلاق » .

ضحكت العجوز نيتلا ، وقالت : « غرابك هذا أبله أحمق يا عزيزى كاروس .. قل له ذلك على لسانى ، لو كان ذكيًا كما يظن لعرف أنه خطر دائما – دائما ، وسرت همهمات واعتراضات بين الآخرين .

قالت أم بامبى : « بعضهم ليس خطرًا ويمكن أن تدرك ذلك بلمحة خاطفة » .

وسألتها العجوز نيتلا : « هل تظنين ذلك ؟ .. إذن أرجو أن تظلى ثابتة فى مكانك حتى يأتى هو ، أو من هم على شاكلته ، وأتمنى لك حظًا سعيدًا » .

وأجابت أم بامبى فى هدوء ورقة : « طبعا لن أبقى ساكنة فى مكان ، بل سأعدو على الفور » .

وتدخلت فالين فى الحديث وقالت : « ينبغى أن نجرى دائما مهما كان الأمر » ، وضحك الجميع .

ولكن حين تحدثوا عن اليد الثالثة ،ارتسمت علامات الجدية والخوف على وجوه الجميع ، إذ سواء أكانت يدًا ثالثة حقًا أو شيئًا آخر فإنها فى جميع الأحوال شيء مخيف لا يعرفونه على حقيقته ، وكل ما يعرفونه عنها حكايات سمعوا بها من الآخرين ، وقليل منهم من شاهدها ورآها رأى العين ، إنه هذا العدو الغريب قد يقف ثابتًا فى مكانه بعيدًا ولا يتحرك ،ولا تعرف عن يقين ماذا فعل ولا ماذا حدث ، غير أنك تسمع فجأة صوتًا قويًا كأنه هزيم الرعد ، ونارًا تشتعل ، وإذا بك وأنت بعيد عنه جدًّا تسقط على الأرض صريعًا وقد انشق صدرك ، وامتلأت نفوسهم جميعًا بالخوف عند الحديث عنه ، وانحنوا على الأرض كأنهم أحسوا به حاضرًا بينهم يشبه قوة خفية تسيطر عليهم وتتحكم فيهم .

اعتادوا أن ينصتوا باهتمام وفضول إلى كل القصص التى تحكى

عنه ، وهى دائما قصص مروعة كلها دم وعذاب وألم ، لا يملون سماع أى شىء عنه ، وإن كانت بعض القصص من نسج الخيال ، إذ يضيف الخوف والخيال إليها الكثير ، ويحكون عنه حكايات وأقوال وأمثلة توارثوها عن الآباء والأجداد ، وتكشف كل هذه القصص عن محاولات لا شعورية لتلمس سبيل يهديهم إلى اكتشاف هذه القوة الجبارة المجهولة ، أو سبيل للهرب .

وسأل كاروس الشاب : « وما هو الفرق أن يكون بعيدًا أو قريبًا طالما أنه يقتلك مهما كانت المسافة ؟ ».

وقالت العجوز نيتلا ساخرة « اسأل غرابك الذكى لعله يفسر ذلك لك » .

وقال كاروس وعلى وجهه ابتسامة : « لم يقل لى شيئًا عن هذا » .

وقال رونو : « إنه يسقط الغربان من فوق الشجر أيضًا إذا أراد » .

وأضافت الخالة عينا : « ويصطاد الدجاج أيضًا » .

وقالت أم «بامبى»: « حكت لى أمى أنه أحيانًا يبسط ذراعيه يحاول الإمساك بنا » .

وسألت العجوز نيتلا : « هل هذا صحيح ؟ إذن ما هذه الفرقعة التى تحدث وتصم الآذان »

قالت أم «بامبى» موضحة : « ذلك عندما يحرك يديه بسرعة .

ويضمها إلى صدره . هنا تومض النار ويقصف الرعد . إذ أن صدره مملوء جحيمًا » .

وقال رونو : « معذرة .. حقًا إن كله جحيم فى داخله . أما ما تقولينه عن يديه فهو غير صحيح ، فإن الأيدى لا تجرح ، ويمكنك أن تتأكدى من ذلك بنفسك ، والأرجح أنه يقذف إحدى أسنانه نحونا ، وأعتقد أننا حين نقول إحدى أسنانه فإن هذا يجعل أمورًا كثيرة واضحة لنا يسهل فهمها ، إنك يقينًا تموتين إذا عضك » .

وتنهد الشاب كاروس وقال : « ألن يكف عن مطاردتنا واصطيادنا ؟ » .

وتحدثت مارينا ، وهى فتاة فى شرخ الشباب وقالت : « يقولون إنه سيأتى يوما ليعيش معنا ويكون رفيقًا بنا ، وديعًا مثلنا ، سيلعب معنا ، وسوف نكون جميعًا أصدقاء ،وتعيش الغابة كلها فى سعادة » .

انفجرت العجوز نيتلا ضاحكة ، ثم قالت : « اتركيه ليبقى هو فى مكانه ، ودعينا نحن فى سلام » .

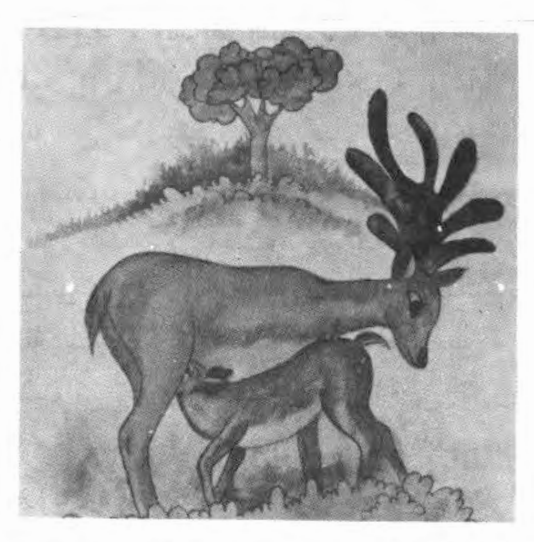
وقالت الخالة عينا وكأنها تؤنبها : لا تتحدثين هكذا .. هذا لا يليق » .

وردت العجوز نيتلا فى حمية وحرارة : « ولم لا .. حقيقة لا أفهم سببًا لذلك ، كيف نعيش أصدقاء معه . لقد اعتاد قتلنا ،

إنه قاتل وهذا كل ما تعيه ذاكرتنا عنه ، كل واحد منا ، ذكورًا وإناثًا إخوة وأخوات ، آباء وأمهات ، إننا منذ أن جئنا إلى هذه الدنيا ونحن نعيش فى خوف لم يدعنا نعيش فى سلام بل يقتلنا هنا أو هناك كلما أطلت إحدانا برأسها ، ما هذا الهراء » .

وحدقت مارينا فى كل من حولها بعينيها الواسعتين الهادئتين اللامعتين وقالت : « الحب هراء .. عشنا وسمعنا ... » .

استدارت العجوز نيتلا وقالت : « أنا ذاهبة لأبحث عن شيء آكله » ، وسارت بعيدًا .



\- ٩ -

الفصل التاسع

ومضى الشتاء ثقيلا ، يشيع بعض الدفء أحيانا ،ولكن سرعان ما يسقط الثلج ثانية ويغطى الأرض طبقات فوق طبقات ، ويستحيل كشطه أو الحفر فيه ، ويصبح الوضع أشد سوءًا إذا ما ذاب الثلج نهارًا ثم تجمد الماء ثانية ليلا ،إذ تغطى السطح حينئذ قشرة من الثلج رقيقة زلقة ، وكثيرًا ما تتكسر إلى شظايا حادة قد تصيب قدم غزالة فتدميها ، وتساقط الثلج كثيفًا طوال عدة أيام مضت . وأصبح الهواء الآن أكثر صفاء مفعمًا حيوية ونشاطًا . وبدأ يطن وكأن طنينه لحن عال رقيق ولكن تحس معه بالبرد .

وساد السكون فى الغابة ، وإن لم يخل يوم من وقوع حدث مروع ، ففى ذات يوم انقضت الغربان على أرنب وليد هو ابن الأرنب صديق بامبى ، وكان الأرنب الطفل راقدًا مريضًا ، وقتلته الغربان قتلة شنعاء . وتردد أنينه الموجع فترة طويلة ، ولم يكن الأرنب الأب في بيته ، وحينما بلغه النبأ الحزين كاد الحزن يقتله .

وذات مرة أبصر بامبى السنجاب يعدو وكأنه يسابق الريح بينما جرح كبير حول رقبته ينزف دمًا من أثر الفخ حين أطبق عليه ،

ولكنه نجا بأعجوبة ، لم يقو على الكلام من شدة الألم ، وكل ما استطاع أن يفعله هو أن ظل يقفز صعودًا وهبوطًا فوق أغصان الشجر . كل من فى الغابة يتطلع إليه وهو يجرى كالمجنون ، وكان يتوقف حينًا ، ليجلس قليلا ، ويرفع قدميه الأماميتين فى يأس واستسلام ، ويمسك رأسه فى فزع وأسى ، بينما الدم الأحمر ينزف فوق صدره الأبيض ، ظل يجرى قاربة الساعة ، ثم تكوم فجأة حول نفسه ، وسقط بين الأغصان إلى الأرض ميتًا فوق الثلج . وعلى الفور حلق زوج من الغربان وانقضا عليه لينالا وجبتهما الشهية .

وفى يوم آخر أمسك ثعلب بديك ومزقه ، إنه ذلك الديك القوى الأنيق الذى اعتاد أن يمشى فى خيلاء ويحظى باحترام الجميع ، وأحدث موته دويًا فى أوساط واسعة داخل الغابة ، وحزن كثيرون لموته وقصدوا أرملته لمواساتها فى مصابها الأليم ، ورأى البعض الثعلب حين جر الديك وهو بين أنيابه فوق الثلج ، انقض عليه الثعلب فى مكمنه وقد أخفى نفسه تحت الثلج وظن أنه فى مأمن لا يراه أحد ، إن أيام الشدة القاسية التى تبدو بلا نهاية أشاعت الذعر والمرارة والقسوة ، لقد حطمت كل الذكريات عن الماضى الحلو الجميل ، وقتلت الثقة بين سكان الغابة وبعضهم البعض ، وأشاعت الهلع والفساد . لم تعد الغابة تعرف معنى السلام والرحمة .

وفجأة تلاصقت الغزلان ، وتجمعت مع بعضها كأن قوة خفية ضمتهم مع بعضهم ، وانكمشوا على أنفسهم وهم يتشممون الهواء .

إنه هو ...

عبقت الغابة بالرائحة الغريبة الطاغية على نحو لم يسبق له مثيل ،إنه لم يكن وحده بل جاء ومعه كثيرون وسوف يشيع القتل بغير حدود .

تلفت بامبى حوله ، أبصر كل كائنات الغابة تندفع جماعات وأسرابًا ، تتراكب وتصطدم ببعضها البعض ، إن عينيه لا تكادان تستقران على شيء إلا ويراه قد ولى بعيدًا عن الأنظار ، ووقف ثعلب وسط حشد هائج مضطرب الأعصاب من دجاج الفيزنت ، إنها لم تنتبه إليه ، ولم تعبأ به . وجرى الدجاج بين قدميه وهو الآخر غير عابئ بها ووقف جامدا ، وقد مد رأسه بعيدًا يتصنت لتلك الضوضاء الهائجة والخطر الكاسح القادم ،وأطرق أذنيه يتسمع ، وفتح منخاريه يتشمم الهواء ، ظل جسمه جامدًا بغير حراك فيما عدا ذيله الذى يهزه ببطء علامة التفكير العميق .

واندفعت دجاجة مسرعة ، إنها قادمة من مصدر الخطر . يكاد الخوف يقتلها ، وصاحت بالآخرين تحذرهم : « لا تطيروا – احذروا الطيران اجروا فقط ، لا تفقدوا صوابكم ، لا تحاولوا الطيران ، اجروا اجروا فقط ، وظلت الدجاجة تردد نفس الكلمات مرات ومرات وكأنها تشجع نفسها ، ولم تعد تدرى ماذا تقول : « هو .. هو ..ها ها » ، إنها صيحة الموت انبعثت من مكان قريب ، وصرخت الدجاجة « لا تفقدوا صوابكم ، وتكسر الصوت وتحول إلى آهة مبرحة ، وبسطت الدجاجة جناحيها وطارت إلى أعلى باندفاع شديد ، رآها «بامبى» وهى تطير بقوة بين الأشجار ،

وتضرب الهواء بجناحيها ، ولمع ريشها بألونه الزاهية مع ضوء الشمس ، وامتد ذيلها الطويل فى خيلاء خلفها ، وانطلق صوت فرقعة كالرعد ، والتفت الدجاجة حول نفسها ،وانقلبت فى الهواء ،رأسها مكان ذيلها كأنما تريد أن تمسك قدميها بمنقارها ، ثم سقطت بعنف على الأرض ، سقطت وسط غيرها من القتلى ولم تتحرك ثانية .

وفقد الجميع صوابهم ، اندفعوا نحو بعضهم البعض ، وحلقت فى الهواء خمس أو ست دجاجات دفعة واحدة ، وصاحت الدجاجات التى احتمت بالأرض : « حذار .. حذار لا تطيروا » .. وجروا بعيدًا مذعورين ، وشقت الهواء أصوات فرقعة خمس أو ست مرات ، وسقطت معها الطيور المحلقة هامدة على الأرض .

وقالت أم بامبى : تعال ، تلفت بامبى حواليه ، كان رونو وكاروس قد وليا الأدبار وهربا ، واختفت العجوز نيتلا عن الأنظار ، لم تبق غير مارينا بجانبهما ، وسار بامبى بجوار أمه ، ومارينا خلفهما ، الضوضاء والصخب فى كل مكان حولهم ، والصراخ يتعالى ، وصوت الفرقعة يشق الهواء كأنه الرعد ، وظلت أم بامبى على هدوئها ، حقًا إنها ترتجف فى صمت ، ولكنها حرصت على أن تتظاهر أمام ابنها بأنها صابرة صامدة ، وقالت له : بامبى ، يابنى ، كن بجانبى – حذار من أن تبتعد سنخرج من هنا ونعبر الساحة ، ولكن علينا أن نسير الآن ببطء وهدوء .

تعالى الضجيج يصم الآذان ويثير الهلع المجنون ، والطلقات تزأر تشق الهواء عشرات المرات .

وقالت أم بامبى : كن حذرًا .. لا تجر ، ولكن حين نهم بعبور الساحة أجر بأسرع ما يمكنك ، ولا تنس يا بامبى ، يا طفلى العزيز : لا تلق بالا لى ولا تعبأ بى حين تكون هناك ، حتى لو سقطت على الأرض لا تعبأ بذلك ، ولكن أجر بأسرع ما تستطيع ، هل تفهمنى يا بامبى ؟ .

سارت أمه بخطوات بطيئة حذرة وسط الضجيج ، الدجاج يهرع هنا وهناك ، يطير ويتساقط على الأرض ويدفن نفسه وسط الثلج ، ثم يقفز فجأة ليعاود الجرى من جديد ، وانطلقت أسراب الأرانب تعدو خائفة مذعورة ، الجميع يجرى فى خوف وفى صمت .

بدأ النور يتزايد تدريجيا أمام بامبى وأمه ، وظهرت الفسحة على البعد من بين الأشجار ، ومن خلفهما الجلبة الرهيبة والخبط المهول المفزع فوق سيقان الشجر ، يقترب كاسحا أكثر فأكثر . وارتفعت أصوات تكسير الأغصان ، وضخب عال يتزايد « هوهو ها ها » ، واندفع أمامهما الأرنب الصديق واثنان من أبناء عمومته ، وقصف الرعد بنج بنج بانج .

ورأى بامبى الأرنب الصديق يرتطم بشىء وسط الفسحة وهو يجرى مسرعا ثم انقلب على ظهره ارتجف قليلا ثم همد ، وجمد

بامبى مبهوتًا كأنه قطعة حجر . وجاءه صوت من خلفه يصيح به « ها هم ، اجر .. اجر » .

وفجأة سمع أصواتًا عاليةً لأجنحة تصفق وتضرب فى الهواء بعنف ، وسمع آهات ونشيجا ورأى ريشًا متناثرًا يتطاير فى الهواء ، لقد انطلقت أسراب الدجاج دفعة واحدة كأنها طائر واحد ، وامتلأ الهواء بطلقات وقصف كأنه الرعد ، وترددت صرخات عالية من الدجاج الذى نجح فى الهرب وأفلت من الموت ، وسمع بامبى وقع خطوات فنظر خلفه ها هو .. إنه هناك ، أتى مندفعًا كالإعصار من كل جانب .

وقالت أم بامبى : « آه .. الآن .. اهرب من هنا .. لا تبق بجانبى .. ابعد » .. وانطلقت ، وفى قفزة واحدة اختفت واندفع بامبى خلفها ، وهزيم الرعد يحاصرهم من كل اتجاه ، بدأ وكأن الأرض ستتفتت من تحتهما . لم يعد بامبى يرى شيئًا ، ظل يجرى ويجرى وفى نفسه رغبة فى أن يفلت بعيدًا عن هذه الرائحة التى توشك أن تخنقه وينقذ نفسه ، وأخذ يجرى . خيل إليه وكأنه رأى أمه وقد أصيبت ، ولكنه لا يدرى هل هى أمه حقًا أم غزالة أخرى ؟ أحس وكأن غمامة تحيط بعينيه صنعها الخوف من الرعد المهول ، لم يعد قادرًا على التفكير فى شىء أو رؤية أى شىء حوله ، كل ما يعرفه أنه يجرى ويجرى بأقصى ما يستطيع .

لقد عبر الفسحة ، ودخل وسط غابة أخرى ، لاتزال الصرخات والضوضاء خلفه ، ولا يزال الرعد يقصف بقوة . وظل بامبى

يجرى ولا يكف عن الجرى ، وأبصر دجاجة ملقاة على الثلج تحتضر وتضرب بجناحيها ضربات واهية ، وحين رأت بامبى قادمًا توقفت عن حركات جناحيها المتشنجة وهمست قائلة : « لقد انتهى كل شيء بالنسبة لى » ولكن بامبى لم يلتفت إليها وظل يجرى .

اعترضت طريقه مجموعة من الشجيرات والأعشاب مما اضطره إلى أن يخفف من سرعته ويبحث عن طريق ، ضرب الأرض بحافريه الأماميتين فى قلق وصبر نافذ ، وسمع صوتًا لاهثًا خلفه يقول : « هذا الطريق » ، أطاع بامبى الصوت دون تفكير ، ووجد أمامه فتحة تفضى به إلى الطريق الصحيح ، وأبصر شيئًا يتحرك أمامه ، وقد تهالك فى سيره ، إنها زوجة الأرنب الصديق ، كان صوتها الذى ناداه .

قالت : « هل يمكنك أن تساعدنى قليلا ؟ » .

نظر إليها بامبى وارتجف . تدلت ساقها الخلفية فوق الثلج ميتة بلا حراك ولا حياة ينزف منها الدم الذى صبغ الثلج بلون أحمر ، عادت تتوسل إليه : هل يمكنك أن تساعدنى ؟ تحدثت وكأنها صحيحة الجسم لم يصبها سوء ، واستطردت قائلة : « لست أدرى ماذا أصابنى ؟ » إننى لا أحس بساقى الخلفية ولكننى لا أستطيع المشى .. » ، وقبل أن تكمل حديثها انكفأت على الأرض وفارقت الحياة ، أحس بامبى بخوف شديد يكاد يقتله ولاذ بالفرار .

– « بامبى » .

توقف فجأة . غزالة تناديه . فسمع النداء ثانية .

« هل هو أنت يا بامبى » ؟ .

رأى بامبى صديقه جوبو يجر نفسه متهالكًا فوق الثلج ، لم يعد قادرًا على الوقوف ، وعجزت سيقانه عن حمله ، ظل فى مكانه حتى كاد الثلج يدفنه ، اتجه بامبى نحوه وهو فى شدة الانفعال ، وسأله «بامبى» وهو يلهث : « أين أملك ياجوبو ؟ أين فالين ؟ كان بامبى يتحدث بسرعة ، تخرج الكلمات متلاحقة وقد بدا عليه القلق الشديد ، وقلبه يعصره الخوف .

قال جوبو فى استسلام : « لقد رحلت أمى وفالين .. كان لابد وأن يتركانى بعد أن سقطت على الأرض . وأنت أيضًا يا «بامبى» يجب أن ترحل وتتركنى .

صاح به «بامبى»: انهض .. انهض يا جوبو .. لقد ارتحت بما فيه الكفاية يجب ألا تضيع دقيقة واحدة ، قم وتعال معى .

أجاب جوبو بصوت ضعيف : « لا ، اتركنى . لا أستطيع الوقوف .. مستحيل أتمنى لو أقدر ولكننى عاجز أحس بضعف شديد » .

ألح عليه «بامبى» وحذره : « هل تعرف ما سيحدث لك ؟ .

جوبو : لا .. لا أعرف .. قد أموت .

علا الضجيج ثانية وترددت أصداؤه فى الغابة . وتبعته موجات متتالية من قصف الرعد ، انكمش بامبى على نفسه ، وفجأة سقط

فرع شجرة أمامه . أبصر السنجاب الصغير كاروس يقفز فى رشاقة فوق الثلج ، ويجرى أمامه .

صاح ينادى بامبى : « اجر .. لاتقف مكانك إذا كنت تستطيع الجرى » واختفى فى لمح البصر . واضطر بامبى إلى الجرى وراءه كأنه يريد اللحاق به ، لم يشعر بامبى أنه عاود الجرى إلا بعد فترة ، وتذكر حديثه مع جوبو فقال بأعلى صوته وكأن جوبو سيسمعه : « وداعا جوبو » ولكنه كان بعيدًا ، وضاع صوته ولم يسمعه جوبو .

ظل يجرى حتى أرخى الليل سدوله فوق الغابة التى تعج بضوضاء الرعد والصياح ، وما إن حل الليل وساد الظلام حتى هدأت الغابة ، وهبت رياح خفيفة حملت معها بعيدًا تلك الرائحة المفزعة . ولكن ظل الخوف والقلق ، وكان أول صديق يلقاه بامبى هو رونو . رآه يعرج فى مشيته أكثر من ذى قبل .

قال له رونو : « الثعلب يرقد فوق الشجرة وقد أصابه الجرح بحمى تكاد تلهب جسمه ، مررت به ورأيته يعانى ويتألم ألمًا قاسيًا ، وتركته وهو يعض الثلج والأرض من شدة الألم ، وسأله بامبى : هل رأيت أمى ؟ .

أجاب رونو وكأنه يريد أن يتحاشى السؤال : لا .. وانصرف سريعا .

وفى ساعة متأخرة من الليل قابل بامبى العجوز نيتلا ومعها

فالين . ابتهج الثلاثة لهذا اللقاء وسألهما بامبى : هل رأت أحدكما أمى ؟ .

أجابت فالين : لا .. حتى أنا لا أعرف أين أمى ؟ .

وقالت العجوز نيتلا فى بهجة وسرور : حسن .. بعد أن كنت سعيدة مرتاحة البال لا أشغل نفسى برعاية أطفال ، ها أنذا الآن أصبح لزاما على أن أرعى اثنين فى وقت واحد .. يا لحظى السعيد .. وضحك بامبى وفالين ، ودار الحديث عن جوبو ، حكى بامبى كيف قابله ، وشعروا بالحزن لحاله ، ولكن العجوز نيتلا قطعت الحديث قائلة : « يجب علينا قبل كل شىء أن نبحث عن شىء نأكله . لم أسمع فى حياتى عن شىء كهذا .. أظنكما لم تأكلا شيئاً طول اليوم » .

قادتهما إلى الأماكن التى يمكن العثور فيها على بعض أوراق الشجر الخضراء ، وكانت العجوز نيتلا رقيقة معهما . لم تأكل هى بل حرصت على أن يجد بامبى وفالين حاجتهما من الطعام أولا ، كانت تحفر الثلج بحافرها لتكشف عن بعض العشب وتناديهما ليأكلا وتقول : « هيا .. هنا عشب طيب ، وقد تقول لهما : لا ، انتظرا سنجد طعاما أفضل فى مكان آخر » . ولكنها بين الحين والحين تهمهم متذمرة « يا للسخرية .. عدت أرعى الأطفال واشقى بهم ثانية » ، وفجأة أبصروا الخالة عينا فاندفعوا نحوها .

صاح بامبى : خالتى عينا – كان هو أول من رآها ، وأحست فالين بفرحة طاغية ، لم تتمالك نفسها من شدة السرور وأخذت تثب حول أمها وتقول « أمى .. أمى .. » ولكن عينا كانت تبكى ويكاد الإرهاق يقتلها ، وصاحت : « اختفى جوبو .. بحثت عنه .. ذهبت إلى المكان الذى تركته فيه حين وقع فوق الثلج .. ولكننى لم أجده .. آه .. حبيبى جوبو المسكين » .

همهمت العجوز نيتلا وقالت : لو أنك اقتفيت أثره لكان هذا أفضل من البكاء .

قالت الخالة عينا : لم أعثر له على أثر .. لم أجد غير آثاره هو .. الشبح . لقد اختطف جوبو . ولاذت بالصمت . وسألها بامبى فى أسى : « خالتى عينا .. هل رأيت أمى ؟ » .

أجابت الخالة فى رقة وهدوء : لا ، ولم ير بامبى أمه ثانية .

- ١٠ -

الفصل العاشر

أخيرًا أظلت أشجار الصفصاف نوارها ، واستحال كل شىء أخضر ، وإن كانت لا تزال أوراق الأشجار براعم ونبتًا صغيرًا على أغصانها ، تراها مع مطلع النور فى الصباح الباكر عذبة نضرة ، كأنها ابتسامة طفل استيقظ لتوه من النوم .

وقف بامبى قبالة شجرة بندق يضرب قرنيه النابتين فى ساقها ، سره أن يفعل ذلك ، وأحس معه بمتعة كبيرة ، هذا إلى جانب أن ذلك ضروريًا ليكشف الجلد والقشر من حول قرنيه النابتين ، ظل بامبى يضرب قرنيه حتى قشر الجلد الذى يغطيهما وتدلى خيوطًا طويلة حول أذنيه ، وكان كلما ضرب قرنيه فى جذوع الشجر مرات ومرات أحس بقرنيه أقوى وأصلب من الخشب ، ويتحول هذا الشعور إلى قوة دافقة وكبرياء طاغ ، ويعاود الضرب بقوة وشراسة أكثر حتى ينزع عن الساق لحاءه ويمزقه ويتعرى جسد الشجرة ، وسرعان ما يتحول الساق إلى لون بنى صدئ فى الهواء الطلق ، ولم يكن بامبى يعبأ بذلك . بل كان يرى الخشب اللامع يتناثر تحت قوة ضرباته فيزداد عنفًا وبأسًا ، وتحمل عشرات الأشجار

آثار جهوده ومحاولاته ، وسمع صوتًا يفيض بهجة ، بالقرب منه يقول له : آه ... حسن .. لقد كبرت وأصبحت شابًا يافعًا .

تلفت بامبى حوليه ، كان السنجاب يراقبه مسرورًا به . وسمع على البعد ضحكة قصيرة حادة : « ها ها ها » .

أحس بامبى والسنجاب ببعض الخوف . ولكن طائر نقار الخشب نادى من فوق شجرة البلوط وقال : معذرة ... ولكننى اعتدت أن أضحك كلما رأيت غزالا يفعل ذلك .

وسأله بامبى فى أدب : « وما الذى يضحك فى هذا ؟ » قال نقار الخشب : أوه ... إنكم تسيرون فى الاتجاه الخاطئ . ينبغى عليك أن تبدأ محاولاتك أول الأمر مع الأشجار الكبيرة ، ذلك لأنك لن تجد شيئًا فوق أغصان الأشجار الصغيرة .

وسأله بامبى : وما هو الطعام الذى سأجده عليها ؟ .

ضحك نقار الخشب وهو يقول : « البق والديدان الصغيرة ... انظر ... افعل مثلما أفعل أنا .. هكذا » واخذ ينقر جذع شجرة البلوط .. تاك .. تاك .. تاك .. اندفع السنجاب نحوه واعتلى الشجرة وبدأ يؤنبه ويعنفه وقال له : « إن الأمير لا يبحث عن بق وديدان » .

وتساءل نقار الخشب : ولم لا ؟ ... إن طعمها لذيذ ، وابتلع دودة صغيرة وعاد ينقر جذع الشجرة بدقاته الإيقاعية .

وقال السنجاب : « أنت لا تفهمنى .. إن شخصية عظيمة مثل هذا الأمير لها أهداف أسمى وأرفع ، إنك تعبر عن نفسك أنت بحديثك هذا » ..

أجاب نقار الخشب : « الأمر عندى سواء » .

وضحك ثم رفرف بجناحيه وطار .

وهبط السنجاب إلى الأرض وذهب إلى بامبى وسأله وهو يبتسم : هل تذكرنى ؟ .

أجاب بامبى وفى صوته مودة : حسن جدًّا ... أذكرك جيدًا ، وأشار بامبى برأسه ناحية شجرة البلوط وسأله : هل تعيش هناك ؟ .

قال السنجاب : أنت تخلط بينى وبين جدتى – لقد اعتادت جدتى أن تسكن هناك وأنت لاتزال طفلا صغيرًا – أيها الأمير بامبى ، كانت تحكى لى عنك كثيرًا ، ولكن ابن عرس افترسها وقتلها منذ زمن طويل ،لعلك تذكر هذا الحادث .

أومأ بامبى وقال : نعم ... سمعت عنه .

واستطر السنجاب قائلا : وبعد ذلك استقر أبى هنا ... واعتدل السنجاب فى جلسته ، وضم ساقيه الأماميتين إلى صدره فى أدب جم وواصل حديثه : « لعلك تخلط بينى وبين أبى أيضًا . هل تعرف أبى ؟ » .

أجاب بامبى : آسف .. لم يحدث لى الشرف بمعرفته . قال : السنجاب وقد أحس بالارتياح : ظننت ذلك – كان أبى فظا وخجولا .

وسأل بامبى : وأين هو الآن ؟ .

أوه ... افترسته البومة منذ شهر مضى ... والآن أعيش وحدى هناك . إننى راض بحياتى .

استدار بامبى لينصرف . ولكن صاح به السنجاب : « انتظر ... لم يكن هذا هو هدفى من الحديث معك ، أردت أن أقول لك شيئًا آخر تماما . » .

توقف بامبى وسأله : وما الذى تريد أن تقوله لى ؟ .

آه حقا ما الذى أريد أن أقوله لك ؟ نظر بعينيه بعيدًا يفكر ثم وثب خطوتين واعتدل ووازن نفسه بذيله الرائع ،وتأمل بامبى قليلا ثم قال : عرفت ... أريد أن أقول لك إن قرنيك قد كبرا وأصبحت شابًا وسيمًا يافعًا .

أحس بامبى بسرور يملأ صدره وسأله : « هل تظن ذلك حقا ؟ » .

ضم السنجاب ساقيه الأماميتين إلى صدره وقال : طبعًا ... تبدو وسيمًا للغاية ، ممتلىء الجسم ،قوى البنية .

ابتهج بامبى وأخذ يقرع جذوع شجرة البندق بقرنيه ،وينزع عنها قشرتها ولم يتوقف السنجاب عن الحديث بينما كان بامبى يفعل ذلك أرى من واجبى أن أصارحك ، وأقول لك إن قليلين جدا ممن هم فى سنك لهم قرون مثل قرنيك ، هذا غير ممكن .

رأيتك عن بعد عدة مرات خلال الصيف الماضى وحين رأيتك اليوم لم أصدق نفسى .

لاذ بامبى بالصمت فجأة ... ثم قال : وداعًا ... يجب أن أنصرف الآن ،وجرى بعيدًا .

لم يكن يحب أن يذكره أحد بالصيف الماضى ، لقد عاش فترة عصيبة منذ ذلك الوقت ، أول شىء أنه أحس بالضياع بعد أن اختفت أمه ، وشعر بالشتاء طويلا لا ينتهى ، وأقبل الربيع على خجل مترددًا ، فمضى وقت طويل قبل أن تسود الخضرة ولولا العجوز نيتلا لما استطاع بامبى أن يواجه ظروف الحياة ، ولكنها رعته ، وساعدته كلما استطاعت ،وعلى الرغم من ذلك فقد عاش وحيدا أياما كثيرة .

شعر بوحشة من أجل جوبو . اعتاد أن يتذكره عند كل منعطف ، آه جوبو المسكين لابد وأنه مات هو الآخر مع كثيرين غيره ، تذكره بامبى كثيرًا خلال هذا الشتاء وبدأ لأول مرة يدرك كم كان جوبو أنيسًا وديعًا ، ونادرًا ما كان يرى فالين ، اعتادت أن تبقى مع أمها أكثر الأوقات ، وأصبحت خجولة أكثر من المألوف .

وبعد أن ازداد الدفء أحس بامبى بفتوته ، بدأ يزهو بقرنيه ، يسير رافعًا رأسه مختالا فخورًا ، ولكن صادفته أحداث أثارت فى نفسه اليأس والألم ،كانت ذكور الغزلان تطارده حينما رأته ،تدفعه

بعيدًا فى غضب ، وكلما اقترب منها طاردته حتى أصبح يخاف من أن يخطو خطوة واحدة كلما رآها خشية أن تفتك به ،وآثر الانزواء والانطواء .

وفى أيام الصيف استبد به قلق شديد ، تملكته رغبة شديدة عارمة فيها مزيج من اللذة والألم ، كلما أبصر فالين أو إحدى صديقاتها ، ولو على البعد ، أحس بمشاعر غريبة لا يفهم حقيقتها تسرى فى عروقه قوية دافئة ، وكثيرًا ما كان يعرف آثار أقدامها ، أو يستدل عليها من رائحة الهواء حين يتشممه ويدرك أنها قريبة من هذا المكان ، وهنا يشعر بقوة لا تقاوم تدفعه إلى الاقتراب منها ، وإذا استسلم لرغباته أصابه حزن وأسى ، ذلك لأنه قد لا يقابل أحدًا ولا يجد بغيته ، وبعد أن يطيل البحث والتجوال ، ينتابه شعور بأنها لا تريد لقاءه ، ويحدث أحيانًا وهو فى غمرة البحث عنها وعن صاحباتها أن تعترضه جماعة من ذكور الغزلان تسد عليه الطريق وتطارده وتضربه ، وعامله صديقاه رونو وكاروس أسوأ معاملة ، لم تكن أياما سعيدة .

ولكن السنجاب يعود بغبائه ليذكره بهذه الأيام ،وفجأة أحس بثورة وهياج وبدأ يعدو ، كانت العصافير والطيور تنطلق فزعة تحوم بعيدًا عنه كلما مر بها وتتساءل : « ماذا جرى » .

لم يسمع بامبى سؤالها ، ورأته بعض الغربان وسألته : « إيه .. ماذا حدث ؟ وسأله طائر العقعق : « ماذا أصابك » ؟ ولكن بامبى لم يلتفت إليهما .. وغنى طائر فوق الشجرة : « صباح الخير ..

صباح الخير .. أنا أسعد طير هذا اليوم ، ولكن بامبى لم يجب عليه ولم يلتفت إليه ، اخترقت أشعة الشمس الأحراش وسطع النور ، ولم يتوقف بامبى عن الجرى ليفكر فى كل ما حوله .

وفجأة سمع رفيف أجنحة تملأ الجو حوله بصوت عال ، وسطعت مجموعة من الألوان المتداخلة الزاهية ، ومضت تحت أقدام بامبى مباشرة حتى أغشت بصره فتوقف جامدًا فى مكانه ،إنه الديك « جونيللو » طار فزعًا إذ كاد بامبى أن يطأه بحوافره ، حلق بعيدًا عنه يرف بجناحيه ويقأقئ يسب ويلعن ، وقال : لم أر ولم أسمع بشيء كهذا فى حياتى ،وقف بامبى مذهولا يحدق فيه .

وقال صوت مرتعش : جاءت سليمة هذه المرة ،ولكنه ولاشك سلوك طائش ، إنها الدجاجة جونللينا زوجة الديك ، كانت ترقد فوق البيض على الأرض .واستطردت قائلة : كدت تقتل زوجى من شدة الخوف ، وتقتلنى معه ، لو وطأتنى لما استطعت أن أتحرك أو أجرى بعيدًا .

أحس بامبى بالحرج والخجل ، وتمتم قائلا : معذرة ... لم أقصد ذلك .

وأجابت الدجاجة : لا عليك ... لم يصبنا مكروه . ولكن كنت وزوجى فى حالة ضيق ،وضاعف ما حدث من ثورتنا ، أنت تعرف لماذا ... . » .

لم يفهم بامبى لماذا ولكنه آثر الانصراف ، أصبح الآن أكثر هدوءًا . ازداد ضوء النهار وازداد دفء الجو ، وعبق الجو برائحة

أوراق الشجر والعشب الأخضر الندى تحت حوافره ، وأحس بامبى بعنفوان قوة الشاب تسرى فى عروقه ..

ذهب إلى شجرة على حافة غدير ، وشب نحوها ، ثم ضرب الأرض بحوافره وتطايره الثرى ، قشر بحافره سطح التربة ثم كشط بقايا الأوراق والعشب حتى ظهر أديم الأرض . وتردد من حوله صدى صورة ضربات حافره .

ولكن ضاق بهذا الصوت زوج من حيوان الخلد كانا يقرضان بعض جذور الشجر تحت شجرة جميز كبيرة ، توقفا عن الطعام وتلفتا ناحية الصوت فرأيا بامبى . قال أحدهما لرفيقه : أنه يفعل أشياء غريبة تثير الضحك والسخرية ... من رأى فى حياته كائنًا يحفر الأرض بهذه الطريقة ؟ ، ونظر الآخر فى دهشة واستغراب واستنكار ثم قال : « أنه جاهل لا يعرف شيئًا . إنه مثل البشر حين يتطفلون ويقحمون أنفسهم فى أمور يجهلونها » .

فجأة رفع بامبى رأسه وتصنت ، ثم أمعن النظر بين أوراق الشجر ، أبصر شيئًا الوميض الأحمر يلمع بين الأفرع ، وإنها أطراف قرون ، مأمأ بامبى بصوت فيه غضب وضيق ، ثم قال فى نفسه : ليكن ما يكون هذا القادم ، الذى يدور حولى ، سواء أكان كاروس أو غيره فلم أهتم ولمن أعبأ به ، تقدم يا بامبى وأقبل التحدى .. سأريهم أننى لا أخافهم .. سأعلمهم أن من الأفضل أن يبعدوا عن طريقى .

احتدمت ثورة التحدى فى عروقه ، وتحول التحدى إلى غضب ، والغضب قوة وعنفوان ، حفت معه الأغصان وتكسرت الشجيرات تحت قوة وقع حوافره ، وودد بامبى نفسه واقفًا قبالة ذكر الغزال الآخر ،لم يعرفه ، فقد كان كل ما حوله يدور أمام عينيه ، ولم يعد يفكر فى شىء غير تلك القوة الخفية التى تدفعه إلى التحدى والتقدم ، مال بقرنيه واندفع بقوة إلى الأمام ، تجمعت كل قوته فى كتفيه ،وتهيأ للصدمة ، وشم رائحة مخبأ خصمه ، ولكنه لم ير شيئًا أمامه غير ردفيه الحمراوين ،واستدار ذكر الغزال الآخر قليلا ، ولما لم يواجه بامبى المقاومة العنيدة العنيفة التى توقعها ، قفز أمامه فى الهواء ، وهكذا اندفع بامبى فى الفراغ دون أن يصطدم بخصمه ، وكاد أن يقع ، ترنح قليلا ،ثم تماسك وتهيأ لقفزة أخرى ، واستدار ولكنه عرف ذكر الغزال العجوز .

كاد الذهول يصعق بامبى ، تمنى لو ابتلعته الأرض أو اختفى ، أو جرى هاربًا ، ولكنه أحس بالخجل من أن يجرى ، وأحس بالخجل أيضًا من أن يبقى واقفًا أمامه ، وهكذا جمد فى مكانه ولم يتحرك .

وقال ذكر الغزال العجوز بصوت هادئ وقور : « حسن » ، وكان صوته واضحًا صريحًا ، وآمرًا قويًا حتى أنه نفذ مباشرة إلى قلب بامبى الذى وقف صامتاً .

أعاد ذكر الغزال العجوز كلمته : « حسن » .

تمتم بامبى قائلا فى خجل وتردد : حسبتك .. حسبتك .. رونو .. أو ، وسكت وألقى نظرة خجل ناحية ذكر الغزال العجوز ،ولكن هذه النظرة أثارت ارتباكه أكثر وأكثر ، وظل ذكر الغزال العجوز واقفًا مكانه في ثبات وبأس وقوة ، ولمعت عيناه اللتان تفيضان خيلاء .. ثم سأل بامبى : لماذا لا تتحدانى ... ؟ .

رمقه بامبى بنظرة تفيض حبا وإعجابا ، وقد أصابته رجفة خفية ،أراد أن يقول له بصوت عال : « ذلك لأننى أحبك » ، ولكنه لم يزد عن قوله لست أدرى » نظر إليه ذكر الغزال العجوز وقال : لم أرك منذ زمان طويل ، لقد شببت وأصبحت قويًا .

لم يجب بامبى . ارتجف من شدة الفرح ، أخذ ذكر الغزال العجوز يتأمله ويمتدحه ، ثم خطا خطوتين نحو بامبى الذى خاف ، وقال لبامبى : أعجبتنى شجاعتك ، كن شجاعًا دائما ولا تخف .

واستدار ، واختفى عن الأنظار فى لمح البصر ..

وظل بامبى فى مكانه فترة طويلة ..

- ١١ -

الفصل الحادى عشر

انتصف الصيف ، وارتفعت حرارة الجو الخانقة ، وعاودت بامبى نفس مشاعر الشوق والحنين ، ولكنها هذه المرة أشد وأقوى ، إنها تغلى فى دمه وتزيده قلقًا واضطرابًا وجموحًا ،وهام على وجهه بعيدًا .

قابل فالين ذات يوم ، كان اللقاء مصادفة غير متوقعة ، التقى بها وهو مشوش الفكر قلقا ، مضطرب الحواس بسبب تلك الرغبة الجامحـــة التى تثور فى دمـــه حتى أنه لـــم يتعرف عليها أول الأمر ، وقفت قبالته ،وأخذ بامبى يحملق فيها فترة صامتاً . ثم قال كأنما انحل عنه السحر الذى عقد لسانه ، وفتنه جمال صديقته : آه ... ما أجملك يا فالين بعد أن كبرت !! .

وأجابت فالين : هل عرفتنى ؟ .

وصاح بامبى فى دهشة : وكيف لا أعرفك ، وقد نشأنا وكبرنا معًا ؟ .

تنهدت فالين ثم قالت : مضى زمن طويل منذ آخر لقاء بيننا ثم أردفت قائلة بنبرة مزاح خليع : ولكن الناس ينسون بعضهم حين يكبرون ، وبقيا معًا .

وقال بامبى بعد فترة صمت : اعتدت أن أمشى فى هذا الطريق مع أمى وأنا طفل .

وقالت فالين : « إنه يصل إلى المرج » .

وقال بامبى بصوت فيه رنة وقار : رأيتك أول مرة فى المرج ... هل تذكرين أول لقاء لنا ؟ .

أجابت فالين : نعم ... وكان معى جوبو .. وتنهدت ثم قالت : آه ... جوبو المسكين ...

وردد بامبى كلماتها : « جوبو المسكين » .

ثم بدءا يتحدثان معًا عن أيام زمان ، وكل منهما يقول للآخر « هل تذكر ؟ » وما دار بينهما ، وأحس كل منهما بسعادة لهذه المشاركة .

وسألها بامبى وهو يستعيد ذكريات الماضى معها : « هل تذكرين يوم أن كنا نلعب معًا لعبة الاستغماية أو العروس والعريس فى المرج ؟ » .

أجابت فالين : آه ... كنا نجرى هكذا – وانطلقت فالين كالسهم ،تراجع بامبى خطوة إلى الوراء مذهولا أول الأمر ، ثم اندفع وراءها يلاحقها ويصيح فرحًا مسرورًا . « انتظرى ... انتظرى » . وتعمدت فالين إغاظته وإثارته . « لا أستطيع الانتظار .. إننى فى عجلة » .. وأخذت تحاوره ، وتقفز فى رشاقة ، وتجرى فى دائرة حوله فوق العشب وبين الأشجار ، وأخيرا أمسك بها

بامبى بعد أن سد عليها الطريق وحاصرها ، وقفا جنبًا إلى جنب صامتين بعد أن أغرقا فترة فى الضحك ، وفجأة قفزت فالين فى الهواء كأن أحدًا قد نخسها أو ضربها ،وعاودت الوثب من جديد ، واندفع بامبى خلفها ، وأخذت تسابقه وتحاوره ، تغريه حيناً بالاقتراب ثم تفلت منه .

وصاح بامبى لاهثًا : كفى .. قفى ... أريد أن أسألك سؤالا ، توقفت فالين . واستفسرت منه فى فضول : وما هو السؤال يا بامبى ؟ .

وقف بامبى صامتًا .. قالت فالين : « إذا أنت تخدعنى ، واستدارت لتجرى من جديد » .

ولكن بامبى قال على الفور : لا .. لا .. قفى .. قفى .. أردت ... أردت أن أسألك .. هل تحبيننى يا فالين ؟ .

نظرت إليه فى فضول وخجل ، ثم قالت : لم أسأل نفسى هذا السؤال .. ولهذا لا أعرف .

ألح بامبى وقال : لا ... لابد وأنك تعرفين ، أنا أعرف أننى أحبك . أحبك بجنون يا فلين ، صارحينى هل تحبيننى أم لا ؟ .

تظاهرت بالخجل وقالت : ربما .

وسألها بامبى فى وله وانفعال : هل ستبقين معى ؟

قالت فالين وهى تخفى سعادتها : إذا طلبت منى ذلك .

صاح بامبى ونشوة الحب الطاغية جعلته يخرج عن صوابه : أرجوك يا فالين ، يا حبى ، يا جميلتى ،يا منية النفس والفؤاد ، هل تسمعيننى ؟ .

أريدك ... أريدك من كل قلبى وجوارحى .

قالت فالين فى رقة وحنان : إذن ... سأبقى معك ولم تكد تنهى كلماتها حتى جرت بعيدًا ، وانطلق بامبى خلفها فى نشوة غامرة ، أسرعت فالين نحو المرج ، حاورته ،وحادت فى طريقها ثم اختفت بين الأحراش ، وبينها كان بامبى يحاول اللحاق بها سمع حفيفًا عاليًا بين الأغصان التى انفرجت وظهر من بينها كاروس ، وصاح به : قف مكانك .

لم يسمعه بامبى . كان فكره وجوارحه مع فالين ، ولم يدر إلا وهو يقول له : « ابعد عن طريقى .. دعنى وشأنى ،ليس عندى وقت أضيعه معك » .

وصاح بامبى بصوت آمر غاضب : ابعد .. ابعد عن هنا الآن وإلا أمسكت بك وصرعتك حتى لا يبقى فيك نفس ،إنى أمنعك من ملاحقة فالين .

عاودت بامبى ذكريات الصيف الماضى حين كان كاروس وغيره يطاردونه ويقسون عليه ، استبد به الغضب فجأة واهتاج ، لم ينطق كلمة واحدة ، ولم يشأ الانتظار وإنما اندفع فجأة كالاعصار ناحية كاروس وقد مال بقرنيه .

لم يدر بامبى إلا وكاروس ملقى على العشب . نهض فى لمح البصر كأنه البرق ، ولكن لم يكد يقف على سيقانه حتى عاجله بامبى بهجمة شرسة جعلته يترنح ثم يسقط على الأرض ثانية .

صاح كاروس : بامبى .. بامـ ...

وقبل أن يكمل نداءه عاجله بهجمة ثالثة أخرسته من شدة الألم .

واندفع بامبى نحوه للمرة الرابعة وحاول كاروس أن يقفز أو يميل على إحدى جانبيه ليتحاشى الصدمة ، وفجأة أحس بضعف شديد ، وأدرك فى نفس الوقت أنها معركة حياة أو موت ، استبد به هلع شديد . حاول الهرب وأن يفلت بجلده من أمام بامبى الثائر الغاضب المهتاج وقد تهيأ لهجمة جديدة ، أحس أن بامبى عاقد العزم على قتله والفتك به دون رحمة ، استجمع كل ما تبقى فى جسده من قوة وفر هاربا بين الأشجار ، كان الأمل الوحيد هو أن يهرب ويختفى عن عينى بامبى .

كف بامبى عن مطاردته ، لم يلحظ كاروس ذلك من شدة الخوف ، وظل يجرى دون توقف بين الأشجار ،توقف بامبى عن مطاردته لأنه سمع صوت فالين تناديه وتتوسل . أحس أنها خائفة وأن خطرًا يتهددها ، استدار بامبى واندفع ناحية الصوت وحين وصل إلى المرج أبصر رونو يلاحق فالين التى هربت منه وتوارت بين الأحراش .

صاح بامبى : « رونو » ، ولكن رونو الذى لا يستطيع العدو بسرعة بسبب قدمه العرجاء توقف وظل جامدًا فى مكانه . ثم قال فى ازدراء : « أوه ... أنه صغيرنا بامبى .. هل تريد منى شيئًا ؟ هل لك حاجة أقضيها لك .. » .

قال بامبى فى هدوء وبصوت يحاول أن يخفى غضبه وثورته : نعم أريد شيئًا ... أريد منك أن تدع فالين وشأنها وابعد عنها الآن فورًا .

قال رونو باستهزاء : هل هذا كل ما تريده ؟ لقد أصبحت وغدًا وقحًا ، لم أكن أتصور هذا ..

عاد بامبى يقول فى هدوء وهو يحاول التحكم فى أعصابه : رونو ... إن هذا لمصلحتك ولأجل خاطرك . إذا لم تبتعد الآن ستندم بعد ذلك ، ولكن لن ينفعك الندم حين تكون عاجزًا عن الهرب .. صاح رونو فى غضب : هل وصلت بك القحة إلى هذا الحد ؟ هل تجرؤ على التحدث إلى بهذا الأسلوب ؟ أظنك تقول ذلك لأننى أعرج . لا .. إن أكثر الناس لم تلحظ هذا .

أو ربما تظن أننى أخافك بعد ما حدث بينك وبين الجبان كاروس ، إننى أحذرك » .

قاطعه بامبى قال : لا يا رونو . اذهب ... ابتعد » وارتجف صوته ثم قال : « كنت أحبك دائما يا رونو ، اعتدت أن أحترمك وأظن بك الذكاء والحكمة لأنك أكبر منى ، إننى أقول لك مرة

واحدة وأخيرة .. اذهب . لم يعد عندى صبر ولن أحتمل أكثر من ذلك .

قال رونو ساخرًا : مسكين أن أراك ضيق الصدر لا تقوى على الاحتمال والصبر .. مسكين أنت يا بنى .. ولكن لا تشغل بالك فسوف أعفيك من هذا كله سريعًا ، لن تحتاج إلى الانتظار طويلا ، لعلك نسيت كيف كنت أطاردك وتهرب منى » .

حين تذكر بامبى ذلك لم يجد عنده كلامًا يقوله ، لم تعد هناك قوة قادرة على أن تكبحه أو ترده ، اندفع كالوحش الكاسر نحو رونو الذى أحنى رأسه ، وتلاحما وكان لتلاحمهما صوت وجلبة ، وثبت رونو فى مكانه ، وقد عقدت الدهشة لسانه إذ رأى بامبى يقف جامدًا أمامه لم يتراجع ، أحس بدوار إثر الهجمة المفاجئة ، فلم يكن يتوقع أن يهاجمه بامبى ، وشعر بقوة بامبى العملاقة ورأى أن من الأصوب له أن يتمالك نفسه ولا يتهور .

حاول أن يخدعه ويوقع به فى مكيدة بينما كانا واقفين رأسيهما متقابلين متلاحمين كل منهما يضغط بكل ثقله ضد الآخر ، هنا تراجع رونو فجأة فاختل توازن بامبى واندفع بثقله إلى الأمام وكاد أن ينكفئ .

تحامل بامبى على ساقيه الخلفيتين وتماسك ، ثم ألقى بنفسه بقوة وشراسة مندفعًا بثورة غضبه العارمة ضد رونو ، قبل أن يستعد رونو لملاقاته ، وانكسرت إحدى شوكات قونى رونو ورن صوت

الكسر في صمت الغابة ، وظن رونو رأسه شجت تطاير الشرر أمام عينيه وسمع زئيرًا يصم أذنيه ، لم تمض لحظة حتى أُحس بضربة موجعة مفزعة تشق كتفه ، احتبست أنفاسه وخانته قواه وسقط على الأرض وبامبي فوقه يدك جسده بسيقانه .

أخذ رونو يئن في ألم ويقول في توسل : « دعني اذهب ... اتركني لحالي » .

ولكن بامبي كان يلقي بنفسه فوقه في غيظ يكاد يسحقه ويومض في عينيه شرر الثورة والغضب ، لم تدر بخلده فكرة الرحمة .

تضرع إليه رونو : أرجوك كفى .. كفى .. ألا تعرف أنني أعرج ؟ كنت أمزح معك . لا تقتلني ، ألا تتقبل مني الدعابة والمزاح ؟ .

تركه بامبي دون كلمة ،ونهض رونو متهالكًا في إعياء ، كان جسده ينزف وسيقانه تهتز وترتخ . ومضى واختفى في صمت .

وانطلق بامبي صوب الأحراش ليبحث عن فالين ولكنه رآها قادمة طائعة راضية ، كانت واقفة عند طرف الغابة تشهد كل الأحداث ، قالت له ضاحكة : ما أروعك ثم أردفت في هدوء وحنان : « أحبك » وسارا معًا والسعادة تحيط بهما من كل جانب وتملأ صدريهما .

- ١٢ -

الفصل الثانى عشر

ذات يوم ذهب بامبى وفالين معًا إلى وسط الغابة يبحثان عن الفسحة الصغيرة التى قابل فيها بامبى ذكر الغزال العجوز ،حكى بامبى لفالين كل ما دار بينه وبين ذكر الغزال العجوز ، وأحس فى نفسه نشوة وحماسًا ، وقال : « ربما نلتقى ثانية ... أود أن أراه » .

وقالت فالين بصوت فيه جرأة وشجاعة : ليتنا نراه . أمنيتى أن أتحدث إليه - ولكنها لم تكن صادقة فى حديثها ، إذ على الرغم من فضولها ورغبتها فى التحدث إلى ذكر الغزال العجوز إلا أنها تخشاه .

مالت الشمس نحو المغيب ، واقترب الغسق الذى صبغ الجو بلون رمادى ، وسارًا معًا جنبًا إلى جنب ، تداعبهما أوراق الأشجار التى تتراقص على أغصانها ، ويريا من خلالها الطريق واضحًا ، سمعا خفيفًا بين الأوراق قريبًا منهما ، توقفا ونظرا ناحية الصوت ، أبصرا ذكر الغزال يمشى فى بطء وقوة وخيلاء بين الأشجار قاصدًا الفسحة الصغيرة وسط الغابة ، بدا فى عتمة الغسق كأنه شبح رمادى عملاق .

صرخت فالين على الرغم منها ، أمسك بها بامبى وهدأ من

روعها ، كان خائفًا هو الآخر وحبس صرخة فى حلقه كادت تفلت منه ، وهمس فى أذنها وكأنه يواسيها ويطمئنها : ماذا بك ؟ ماذا أصابك ؟ إنه لن يؤذينا ، تظاهر بالشجاعة ولكن خانه ارتجاف صوته .

صرخت فالين مرة ثانية ، قال لها بامبى فى توسل : لا تنزعجى هكذا يا حبيبتى ، أنه لأمر يدعو للضحك والسخرية أن تخافيه ، ثم إنه أخيرًا أحد أفراد أسرتنا .

ولكن فالين لم تهدأ ولم يرتح بالها . جمدت فى مكانها تحدق فى ذكر الغزال الذى مضى دون أن يعبأ بهما ، ثم صرخت مرة بعد أخرى .

ألح عليها بامبى فى ضراعة : أرجوك .. تماسك ... تمالك نفسك ... ماذا يقول عنا ؟ ولكن فالين لم تهدأ أخذت تثغو صارخة : ليظن هو ما يشاء .. آه .. أوه ... إنه لشىء مهول ومروع أن يكون المرء ضخما هكذا .

وثاغت مرة ثانية : بوه .. دعنى .. إنى لا أحتمل ... لا أستطيع أن أمسك نفسى . لابد أن أصرخ وأثغو فهذا يريحنى قليلا بوه ، بوه ، بوه – وقف ذكر الغزال العجوز وسط الفسحة يبحث عن طعام سائغ وسط العشب .

استعاد بامبى شجاعته وإن ظلت إحدى عينيه على فالين التى استبد بها الخوف ، والعين الأخرى على ذكر الغزال الهادئ الوقور ،

وبدأ يستعيد ذكرياته مع ذكر الغزال ويلوم نفسه على ما كان يشعر به من خوف وخنوع كلما رآه ،وقال فى نفسه وكأنه يحسم الأمر : هذا سخف غير معقول ... سأذهب إليه من فورى وأقول له من أنا .

صاحت به فالين : لا ... لا ... أخشى أن يحدث مالا يحمد عقباه . أجاب بامبى : سأذهب مهما كلفنى الأمر .

كان ذكر الغزال العجوز يقتات فى هدوء غير عابئ بما يدور حوله ، ولم يلق بالاً إلى فالين التى انخرطت فى البكاء . كان يحس أنه أكبر من أن يأبه لهذه الأمور التافهة ، وقال بامبى إنى ذاهب إليه ، اهدئى ، سترين ، لن يحدث شىء ، انتظرينى لحظات .

وذهب إليه ، ولكن فالين لم تنتظر ، ليست لديها الرغبة فى ذلك ولا الجرأة عليه ، تغيرت من النقيض إلى النقيض وجرت تصرخ وكأن هذا أفضل ما تستطيع عمله ،سمع بامبى ثغاءها وهى تجرى بعيدًا .

رأى بامبى أن من الأفضل له أن يلحق بها ولكن لم يعد هذا ممكنًا ، استجمع شجاعته ومضى فى طريقه ، وأبصر من بين فروع الشجر ذكر الغزال العجوز واقفًا وسط الفسحة ، وقد مال برأسه إلى الأرض . أحس بامبى بقلبه يدق بعنف حتى يكاد يقفز من بين صدره .

رفع الذكر العجوز رأسه على الفور ونظر إليه ، ثم حدق فى

الفضاء أمامه على البعد ، أحس بامبى بأن الطريقة التى حدق بها ذكر الغزال فى الفضاء فيها إغفال وإهمال له ،كأنما لم تقع عينيه عليه ، وليس له وجود ، وكذلك فإن نظرته إليه فيها تعال وخيلاء .

لم يدر بامبى ماذا يفعل ، لقد جاء بعد أن عقد العزم على التحدث إلى ذكر الغزال العجوز ، ولابد وأن يفعل ما يريد تدبر أمره وقال فى نفسه سأبدؤه بالقول : « طاب يومك ،أنا بامبى ،هل لى أن أحظى بشرف معرفة اسمكم ؟.

ظن الأمر سهلا فى البداية ، ولكنه الآن يراه ليس بنفس القدر من السهولة واليسر ، ما فائدة النوايا الطيبة الآن ؟ إن بامبى حريص على أن يبدو دمثًا وديعًا حسن الخلق والتربية ، ولهذا ليس من اللائق أن يمضى دون أن يلقى التحية أو يتحدث إليه بكلمة ، وهو لا يريد أن يبدو وقحًا ، ويخشى أن يكون كذلك إذا ما بدأ الحديث .

بدا ذكر الغزال العجوز مهيبًا ذا بأس وجلال ، وابتهج بامبى لخيلائه وعظمته وأحس بالتواضع أمامه ، حاول عبثًا أن يستثير شجاعته وظل يسأل نفسه ، « لماذا أخافه ؟ » ألست مثله ؟ » ولكن دون جدوى ، ظل الخوف يلازمه ويشعر فى أعماق نفسه أنه ليس ندا له ، بل هناك فارق هائل يفصل بينهما ، أحس بالضآلة والأسى وحاول جاهدًا أن يستجمع قواه وشجاعته ليظل ثابتًا ولا يتراجع عن عزمه .

التفت إليه ذكر الغزال العجوز وقال فى نفسه : « إنه أنيق

وسيم ... وهو فتى جميل الطلعة ، رقيق رابط الجأش ،ولكن يجب ألا أحدق فيه أو أمعن النظر ، هذا لا يليق بى ، فضلا عن أن هذا قد يسبب له حرجًا . ولهذا عاد يحدق بعينيه بعيدًا عن بامبى فى الفضاء ، وقال بامبى فى نفسه : « يالنظراته المتكبرة المتعالية ... هذا شىء غير محتمل . لا أطيق أن يكون للناس مثل هذه الفكرة عن أنفسهم .

وكان ذكر الغزال العجوز يقول لنفسه : أود أن أتحدث إليه ، إنه يبدو ودودًا ما أقبح أن تمتنع عن الكلام مع من لانعرفهم » — واستغرق فى تأملاته . وقال بامبى لنفسه : « يجب أن يكون لى كبريائى أنا أيضا ، إن هذا الأخ يتصرف كأنه وحده على ظهر الأرض » .

وكان ذكر الغزال العجوز يتساءل فى نفسه متعجبًا : ولكن ماذا عساى أن أقول له ، إننى لم أعتد على التحدث مع أحد ، أخشى أن أقول كلاما أخرق غبيًا يثير الضحك والسخرية .. إذ يبدو يقينًا ذكيًا شديد الذكاء .

استجمع بامبى شجاعته وثبت نظره على ذكر الغزال العجوز ، كادت تخونه شجاعته وهو يقول فى نفسه : آه ... ما أروعه .

وقال ذكر الغزال العجوز فى نفسه : « حسن .. ليكن الحديث مرة أخرى ... فربما نلتقى .. » ، ومشى غير راض عن هذه النتيجة ولكنه سار بعظمة وخيلاء ، وبقى بامبى مكانه وفى نفسه حسرة .

- ١٣ -

الفصل الثالث عشر

الغابة تغلى تحت نار الشمس الحارقة ، ما إن أطلت الشمس فى الأفق البعيد حتى أزاحت عن صفحة السماء كل آثار السحب ، تربعت وحدها متوهجة تغمر أطراف السماء الزرقاء بنورها ونارها ، تخال السماء من شدة الحر كليلة باهتة ، والهواء يرتجف فى المروج وفوق الأشجار ، يترقرق صاعدًا فى تموجات شفافة عليلة كامدة مثل حركته فوق ألسنة اللهب ، وسكنت أوراق الشجر ونصال العشب ، وهمدت الغابة فلا تسمع فيها نأمة أو حركة ، وصمتت الطيور ، وتوارت بين أوراق الأشجار الوارفة تحتمى بظلها مستسلمة جامدة فى مكانها ، وخلت طرق الغابة ودروبها ، وأضحت خاوية فارغة لا تقع العين على كائن يتحرك هنا أو هناك ، وهجعت الغابة تحت وطأة الضوء المبهر الذى يعشى البصر ، وثقلت أنفاس الأرض والأشجار والوحوش من شدة حرارة الجو الخانقة ، واستكانت فى كسل وبلادة .

وقضى بامبى سهرة مرحة بهيجة مع فالين امتدت مع الليل بطوله ، ظل يرقص ويثب فى مرح معها حتى تنفس الصبح ، وفى نشوة الفرح نسى أن يأكل وأضناه التعب حتى أنساه الجوع ،

وأغمض عينيه على الرغم منه ، وغلبه النوم حيث كان واقفًا بين الأشجار .

فاحت رائحة نبات العرعر النفاذة من أثر حرارة الشمس ، وعبق الجو بعطره ، وتصاعدت الرائحة إلى رأس بامبى مع أنفاسه وهو نائم ، فأمدته بقوة جديدة ، واستيقظ فجأة وهو في دوار ، ترى هل نادته فالين ؟ تلفت بامبى حوله ، تذكر أنه رأى فالين وهو راقد وكانت واقفة إلى جواره تقضم بعض أوراق الشجر ، خيل إليه أنها ستبقى إلى جانبه ، ولكنها ليست هناك . يبدو أنها ملت الوحدة ، فبدأت تناديه ليعود إليها .

وبينما كان بامبى ينصت إلى ندائها أذهله طول الفترة التى قضاها نائما ، وقال فى نفسه : لعل فالين تنادينى منذ وقت طويل ، إنه ليس على يقين . إن فكره غير واضح فلا يزال النوم يغالبه .

ونادته فالين من جديد ، استدار بامبى فى قفزة واحدة ناحية الصوت ، وسمع نداءها مرة ثانية ، وأحس بسعادة غامرة ، انتعش وهدأت نفسه ، واشتدت عافيته وإن كان يقرصه الجوع .

عاد النداء ثانية واضحًا كأنه شدو طير رقيق أضناه الشوق والحنين : « تعال ، تعال » — نعم هذا صوتها . إنها فالين . اندفع بامبى كالسهم حتى تكسرت الأغصان الجافة من قوة اندفاعه .. وحفت أوراق الشجر حفيفًا عاليًا ، ولكنه اضطر إلى التوقف ، ثم انحرف إلى أحد جانبى الطريق ، فقد كان ذكر الغزال العجوز واقفًا يسد عليه الطريق .

ولكن بامبى لا يشغله شىء الآن غير الحب ، إن ذكر الغزال العجوز لا يعنيه كثيرًا فى هذه اللحظة ، يمكن أن يلتقى به فى أى وقت آخر فى مكان ما ، ليس لديه وقت ليضيعه الآن مع ذكور الغزال الكبيرة . مهما كان جلالها وكبرياؤها ، إنه لا يفكر إلا فى فالين وجدها ، حيا ذكر الغزال العجوز على عجل وحاول أن يمضى سريعًا فى طريقه ، ولكن سأله ذكر الغزال العجوز فى شوق ولهفة : إلى أين ؟ .

شعر بامبى ببعض الحرج ، وفكر فى طريقة للتملص منه ، ولكنه غير رأيه وأجاب فى صراحة وصدق : إليها .

وقال ذكر الغزال العجوز : لا تذهب .

ومضت شرارة غضب للحظة فى نفس بامبى ، وتساءل فى نفسه : « لا تذهب إلى فالين ؟ كيف يطلب منى ذلك وبأى حق ؟ سأتركه وأجرى » .. سرح بامبى بفكره قليلا وتدبر أمره ، ورمق ذكر الغزال العجوز بنظرة ، التقت نظرته بعينى ذكر الغزال ترمقانه بنظرات عميقة جعلته يقف جامدًا فى مكانه ، وأحس فى داخله بالقلق والضيق ولكنه لم يجر .

قال موضحًا بصوت فيه رنة رجاء : إنها تنادينى ... لا داعى للحديث الآن .

وقال ذكر الغزال العجوز : لا ... إنها لا تنادى .

عاد النداء من جديد كأنه زقزقة عصفور : « تعال » .

صاح بامبى مهتاجًا : اسمع .. هاهى تنادى ثانية .

أومأ ذكر الغزال برأسه وقال : أسمعها .

ارتد بامبى إلى الخلف فى حركة سريعة وقال : حسن ... إذن وداعًا .

قال ذكر الغزال العجوز بلهجة آمرة : قف .

صاح بامبى فى غضب : ماذا تريد ؟ دعنى أذهب ، ليس عندى وقت ، أرجوك ، فالين تنادينى ، ينبغى أن تدرك ذلك .

عاد ذكر الغزال العجوز إلى القول بلهجته الآمرة : قلت لك إنها ليست هى .

يئس بامبى من حديثه وقال له : ولكننى أعرف صوتها .

واصل ذكر الغزال العجوز كلامه قائلا : اسْمَعْنى .

وجاء النداء ثانية . وأحس بامبى كأن الأرض من تحته لهيبا من النار ، فعاد يرجوه ويتوسل إليه قائلا : سأعود إليك فورًا .

قال ذكر الغزال العجوز بصوت حزين : لا ... لن تعود ثانية ... لن تعود .

تردد النداء من جديد .

صاح بامبى وقد بدأ يفقد صوابه ويجن جنونه : لابد وأن أذهب .. يجب .. يجب .

وهنا قال ذكر الغزال العجوز بصوت آمر قاطع : إذًا لنذهب معًا .

صاح بامبى وهو يقفز : هيا ... أسرع .

ولكن ذكر الغزال العجوز أمره بصوت جعل بامبى يرضخ له : لا ، بل على مهل ... ابق ورائى ... خطوة بخطوة .

وبدأ الغزال العجوز يتحرك ، ويمضى فى طريقه إلى الأمام ، وبامبى خلفه يتبعه وهو يتنهد فى قلق ، ثم قال الغزال العجوز دون أن يتوقف عن السير : اسمع .. مهما علا النداء أو تكرر لا تتحرك بعيدًا عنى . إذا كانت هى فالين فسوف تسمع نداءها واضحًا ، ولكنها ليست هى ، لا تطاوع نفسك ، إنها تخدعك .

كل شىء الآن رهن بموقعك منى هل تثق فى أم لا ؟ — ولم يجرؤ بامبى على المعارضة ، واستسلم فى صمت .

وتقدم الغزال العجوز فى بطء وبامبى خلفه يقتفى أثره ، تعجب لخطوات الغزال العجوز الحذرة ، لا يسمع لحوافره صوتًا أو دبيبًا على الأرض ، لم يحرك غصنًا بجسده ، سارا معًا ينسلان من بين الأعشاب الكثيفة ، امتلأت نفس بامبى إعجابًا به على الرغم من القلق ، لم يكن يتخيل أن بإمكان أحد أن ينسل خلسة هكذا بين الأشجار والأعشاب الكثيفة .

تردد النداء مرات ، وقف ذكر الغزال العجوز ساكنًا ينصت

وقد جال برأسه ، ووقف بامبى إلى جواره تعتمل فى نفسه رغبة محمومة لا يكاد يكبح جماح نفسه ، لم يفهم شيئًا مما يدور حوله .

توقف ذكر الغزال العجوز مرات عديدة فى طريقه على الرغم من عدم سماع النداء . كان يرفع رأسه يتصنت ثم يميل برأسه ثانية ، لم يسمع بامبى شيئًا ، انحرف ذكر الغزال العجوز بعيدًا عن مصدر النداء ثم استدار ، رأى بامبى ذلك فاشتعل غضبًا .

عاد النداء من جديد ليتكرر مرات ومرات ، أخيرا حاولا الاقتراب من مصدر الصوت أكثر فأكثر ، حتى أصبحا على مقربة منه ، وهمس ذكر الغزال العجوز فى أذنه : « مهما يحدث ومهما ترى قف مكانك ولا تتحرك ، هل تسمعنى ؟ انتبه لكل ما أفعله وافعل مثلما أفعل تماما بحذر شديد ، كن عاقلا وحذار من الخطأ .

سارا معًا بضع خطوات ، وفجأة صدمتهما تلك الرائحة الحادة اللافتة للنظر التى يعرفها بامبى جيدًا ، ملأ صدره منها حتى كاد أن يصرخ ، تسمر فى الأرض ، أحس للحظة كأن قلبه كاد يقفز من صدره ، وقف ذكر الغزال العجوز بجانبه هادئًا وأشار بحركة من عينيه ، إنه واقف هناك .

كان يقف قريبًا منهما مستندًا إلى جذع شجرة بلوط ، وقد توارى خلف أشجار البندق ، كان ينادى بصوت هادئ « تعال ... تعال » ، وأحس بامبى بالحيرة وارتبك تماما ، تملكه فزع شديد فقد بدأ يدرك الآن أنه هو ... الشبح ... يقلد صوت فالين . إنه هو الذى ينادى « تعال ... تعال » .

سرى خوف بارد فى جسد بامبى وسيطرت عليه فكرة الهرب ، وأحس ذكر الغزال العجوز بما يدور فى رأسه ، قال له بسرعة وبصوت آمر قاطع كأنما يريد أن يشجعه « أثبت مكانك » ، وتمالك بامبى نفسه بجهد كبير .

تطلع إلى بامبى ، وظن بامبى أنه ينظر إليه بشىء من الاحتقار ، لحظ هذا على الرغم من الحالة التى يعانى منها ، ولكن تحولت نظرة ذكر الغزال العجوز إلى نظرة جادة عطوفة .

حاول بامبى أن يمعن النظر إلى حيث يقف الشبح ، أخذت عيناه ترفان كأنه لا يحتمل البقاء فى مكانه أكثر من ذلك فى مكان واحد معه ، وكأنما قرأ ذكر الغزال العجوز أفكاره فهمس له « هيا نعود » ، واستدارا عائدين .

انسلا خلسة ، سار ذكر الغزال العجوز فى مسار متعرج دون أن يفهم بامبى سببًا لذلك ، ولكنه حرص على اقتفاء أثره على الرغم منه وهو يكظم قلقه ، اشتد به الحنين إلى فالين ، وسرت فى عروقه حمية تدفعه إلى الثغاء والهرب .

ولكن ذكر الغزال العجوز كان يسير على مهل فى حذر ، ويتوقف بين الحين والحين يتصنت حوله ، قد يغير مساره ويختار طريقًا متعرجًا آخر ، ثم يتوقف من جديد ليعاود المسير ببطء شديد .

ابتعدا عن مكان الخطر ، وقال بامبى فى نفسه : لو توقف ثانية فسوف أضطر إلى أن أنهى صحبته وأكتفى بذلك وأشكره ، ولكن

فى اللحظة التى كان يفكر بامبى فى أن يقول له ذلك ، لم ير ذكر الغزال العجوز أمام عينيه ، لقد اختفى بين الأحراش ، لم يجد ما يدله على المكان الذى انسل إليه ، فلم ير ورقة شجر تتحرك ولا غصناً يميل عن موضعه فى المكان الذى سار فيه .

حاول بامبى أن يقتفى أثره ، ويحاكى حرصه وحذره أثناء السير ، حتى لا ينم عن مكانه صوت . ولكنه لم يكن سعيد الحظ فى ذلك ، إذ كانت أوراق الشجر تصدر حفيفاً خافتاً ، والأغصان تميل وتنحنى على جانبيه ، ثم تعود وترتفع ويكون لحركتها رنين خافت ، وكانت الأغصان الجافة تصطك بصدره وتصدر عنها طقطقة عالية .

ظل بامبى يحدث نفسه قائلا : لقد أنقذ حياتى ... ماذا يمكن أن أقول له ؟ ، ولكن ذكر الغزال العجوز اختفى عن الأنظار .

خرج بامبى من بين الأشجار ، رأى أمامه بحرًا من أزهار عصا الذهب بألوانها الزاهية ، رفع رأسه وتلفت حواليه ، إنه لا يرى ورقة شجر تتحرك هنا أو هناك على مرمى البصر ، أصبح وحيدًا .

بعد أن تحرر من كل قيد أو سيطرة ، تحركت فى نفسه فجأة الرغبة فى الفرار والهرب بعيدًا ، طال به التجوال ثم اهتدى إلى حبيبته فالين ، تقطعت أنفاسه واشتد به التعب ولكن غمرته سعادة عميقة .

قال لها : « أرجوك يا حبيبتى لا تنادينى ثانية . سيبحث أى منا عن الآخر حتى يهتدى إلى حبيبه ولكن لا تنادى ، ذلك لأننى ضعيف أمام صوتك ولا أستطيع أن أقاومه .

- ١٤ -

الفصل الرابع عشر

وبعد أيام قلائل كانا يسيران معًا سعيدين خاليا البال وسط غابة من أشجار البلوط عند الطرف الأقصى من المرج ، كان لابد وأن يعبرا المرج ليبلغا طريقهما القديم حيث شجرة البلوط الكبيرة العجوز .

وعندما قلت كثافة الأشجار توقفا عن المسير وأمعنا النظر حوليهما ، رأيا شيئًا أحمر يتحرك بالقرب من شجرة البلوط ، حدقا معًا فيه .

وقال بامبى همسًا : « ترى ماذا يكون ؟ » .

قالت فالين : « لعله رونو أو كاروس » .

لم يصدق بامبى ، وقال وهو يتفرس فى ذلك القادم الغريب : « لا ، إنهما لا يجرؤا على الاقتراب من مكان أكون فيه ، وصمت لحظة ثم قال بصوت قاطع : لا ... إنه ليس كاروس ولا رونو ، إنه وافد غريب .

وافقت فالين على استنتاجه ولكنها شعرت بدهشة وقلق لمعرفة

حقيقة هذا الوافد ، وقالت « نعم إنه غريب ، أراه الآن بوضوح . عجبًا » ، وأخذا يرقبانه .

وقالت فالين فى دهشة : « إنه يتصرف بدون أكتراث كأنه لا يعبأ بشىء » .

وقال بامبى : « غبى ... غبى حقا .. يتصرف كطفل غر ... كأن المكان آمن لا خطر فيه .

وقالت فالين : هيا بنا لنقترب قليلا ، فقد استبد بها الفضول .

أجاب بامبى موافقًا : « وهو كذلك .. هيا بنا .. أريد أن أراه بصورة أوضح » .

سارا بضع خطوات ثم توقفت فالين ، نظرت إلى بامبى تسأله : « هب أنه يريد مقاتلتك ... ماذا أنت فاعل ؟ ... . إنى أراه قويًا شديد البأس . رفع بامبى رأسه فى شموخ ونظر فى ازدراء وسخرية وقال : « ياه ، انظرى إلى قرنيه الصغيرين ، هل أخاف هذين القرنين ؟ إنه سمين مترهل الجسم ولكن هل معنى ذلك أنه قوى ؟ لا أظن ذلك ، هيا لنمضى فى طريقنا إليه ، وسارا يخطوان معًا إلى الأمام .

كان الوافد الغريب مشغولا فى التقاط وقضم بعض الأعشاب ، ولم يلحظهما إلا بعد أن اقتربا منه ، جرى نحوهما لملاقاتهما ، وثب بضع وثبات مرحة كأنه طفل يلهو ، توقف بامبى وفالين فى دهشة وانتظراه ، وحينما أصبح على بعد خطوات معدودة منهما ثبت فى

مكانه هو الآخر وبعد فترة صمت سألهما : « هل لا تعرفانى » ؟ خفض بامبى رأسه استعدادا للنزال وقال فى تحد واستنكار : « هل تعرفنا ؟ » . قاطعه الغريب وصاح صيحة فيها ثقة وتأنيب : بامبى .

جفل بامبى وتراجع خائفًا حين سمع اسمه ، أهاج الصوت ذكرى قديمة دفينة فى قلبه ، واندفعت فالين صوب الغريب ، صاحت وقد انعقد لسانها فلم تنطق : جوبو ، ووقفت فى مكانها بغير حراك وقد احتبست أنفاسها من هول المفاجأة .

وقال جوبو بصوت رقيق حنون : فالين ... فالين ... أختى ... لقد عرفتينى ، تقدم نحوها وقبلها والدموع تنحدر من عينيه على وجنتيه ، وانخرطت فالين فى بكاء ونشيج وعجزت عن الكلام .

قطع بامبى الصمت وقال بصوب مرتعش ، والحيرة تملأ نفسه : حسن ... آه ياجوبو ... إذًا أنت لم تمت ؟ .. وبدا متأثرًا مذهولا للغاية .

انفجر جوبو ضاحكا ، وقال « ها أنت ترانى حيا لم أمت .. أو أعتقد أنك ترانى كذلك بعينيك .

سأله بامبى : احك لنا ماذا حدث لك وأنت مغمور فى الثلج ؟

قال جوبو وقد بدا عليه التفكير العميق .

آه ذلك اليوم ، أنقذنى الشبح .

سألته فالين فى دهشة : وأين كنت كل هذا الوقت ؟ .

أجاب جوبو :

معه ، كنت معه طول الوقت .

ثم صمت وأخذ ينقل نظراته ما بين بامبى وفالين . سره شعور الدهشة والذهول الذى استولى عليهما ، ثم أردف يقول : « رأيت الكثير ، أكثر مما رأيتماه معًا فى كل الغابة .

بدأ فى صوته وحديثه رنة تفاخر ، ولكنهما لم يهتما بذلك ، فقد كانا لا يزالان غارقين فى مشاعر الحيرة والدهشة .

صاحت فالين والفرحة لا تسعها :

احك احك لنا عن ذلك .

قال جوبو بارتياح :

أوه ، قد أحتاج يوما بطوله ولن أفرغ من حكايتى .

أخذ بامبى يحثه على الكلام : إذا ابدأ واحك لنا .

التفت جوبو نحو فالين وارتسمت على وجهه أمارات الجد والاهتمام ، وسألها بصوت رقيق خفيض : هل أمى لاتزال حية ؟

صاحت فالين فى بهجة وسرور : « نعم- إنها على قيد الحياة وإن لم أراها منذ زمان » .

قال جوبو فى عزم وتصميم : إنى ذاهب لأراها الآن ، هل تأتيان معى ؟ وذهبوا جميعًا إليها .

خيم الصمت عليهم طول الطريق فلم ينطق أحدهم بكلمة ، أحس بامبى وفالين بمشاعر القلق والحنين التى استبدت بصديقها جوبو لكى يرى أمه ، ولهذا آثر الصمت ، وسار بامبى بخطوات سريعة صامتاً ، وتركاه يفعل ما يحلو له .

ولكن إذا حدث وهرول أحيانًا فى مشيته أو أسرع على غير هدى ، أو حاول أن يعبر طريقا خطأ ، أو حاد عن الطريق الصواب فإنهما يناديانه بصوت رقيق : « اتبع هذا الطريق ، وقد يقول بامبى أو فالين همسًا : لا ، لا ، إننا نتبع هذا الطريق .

ويضطرون فى مرات كثيرة إلى عبور بعض الفسحات ، ولكن بامبى وفالين لاحظا أن جوبو لم يقف أبدًا عند حافة الدغل ، ولم يحاول أبدًا أن يتلفت حوله ويمعن النظر فيما يحيط به إذا ما قادته سيقانه إلى مكان مفتوح طلق ، وإنما يجرى ويسرع الخطى دون حذى ، وكلما حدث ذلك تبادل بامبى مع فالين نظرات الدهشة والاستغراب دون أن يوجها كلمة إلى جوبو ، وإنما يتبعانه دون تردد .

استرجع جوبو مسالك الطفولة ودروبها ، أحس بسعادة غامرة ، ولم يصدق نفسه أن بامبى وفالين يقودانه ويسيران معه ليدلانه على الطريق ، وبعد قليل بلغوا فجوة مغطاة بورق الشجر ، صاحت فالين وهى تنسل إلى داخلها « انظر » . تبعها جوبو ثم توقف ، إنها الفرجة التى ولدا فيها معًا ، وعاشا فيها معًا فى حضن أمهما وهما طفلان ، تبادل جوبو وفالين النظرات ، ولكن لم ينطق أحدهما

بكلمة ، واكتفت فالين بأن قبلت أخاها قبلة رقيقة حانية ، ثم أسرع ثلاثتهم فى الطريق .

ساروا قرابة الساعة ، اشتد سطوع الشمس ، ونفذت أشعتها بين الأشجار وغمرت الغابة بنورها ، وخفت الحركة ، وهدأت الغابة ، فهذا هو وقت القيلولة والراحة ، ولكن جوبو لم يشعر بالتعب بعد ، سار فى طريقه تدفعه الرغبة المحمومة فى لقاء أمه ، لم يكن يأبه لما تطوّه سيقانه ، وحدث أن داس بعض الدجاج ، ففر الدجاج من أمامه وهو يسبه ويلعنه ، ويرفرف بأجنحته ليبتعد عنه . وكان بامبى ينظر فى دهشة واستغراب إلى سلوك جوبو وهو يطوف جيئة وذهابًا ، وتوقف جوبو لحظة ، والتفت إليهما وقال فى يأس : « إنها غير موجودة » .

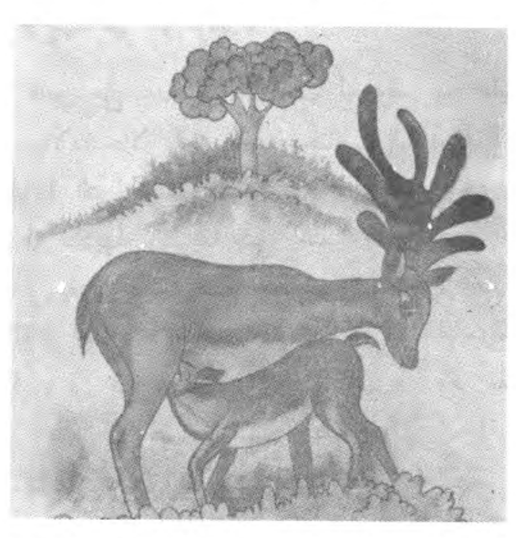
هدأت فالين من خاطره ، وقالت له وقد بدا عليها التأثر : « ستجدها حالا ، حالا ياجوبو » ، وتطلعت إليه ، إنه لايزال يحتفظ بنظراته الحزينة التى تعرفها جيدًا عنه ، وسألته وهى تضحك : « ما رأيك لو نناديها بالطريقة التى اعتدنا عليها ونحن أطفال ؟ » .

نأى بامبى بعيدًا عنهما بضع خطوات ، وحين تراجع إلى الخلف أبصر الخالة « عينا » ، وكانت قد تهيأت للراحة ورقدت بجوار شجرة بندق ، قال فى نفسه : « أخيرًا هاهى » . وفى نفس اللحظة أقبل جوبو وفالين . وقف ثلاثتهم يتطلعون إلى الخالة « عينا » ، رفعت رأسها فى هدوء ونظرت إليهما بعينين يغالبهما النعاس .

تقدم جوبو نحوها بخطوات مترددة أول الأمر ثم صاح : أمى . نهضت فى لمح البصر وتسمرت فى وقفتها . ألقى جوبو بنفسه نحوها ، وهو يقول : أمى .. حاول أن يتكلم ، أن يقول لها شيئًا ولكنه عجز عن الكلام .

ثبتت الأم نظراتها العميقة فى عينيه ، احتضنته بعينيها ، وبدأ جسمها يطاوعها على الحركة ، وسرت فى جسمها رجفة .

لم تسأل شيئًا ، لم تكن تريد تفسيرًا أو قصة لما حدث ، إنها تريده وهاهو أمامها .. قبلت جوبو فى حنان على مهل ، قبلت فمه ووجنتيه ورقبته ، لا تكف عن الثغاء وهى تقبله مثلما كانت تقبله ساعة ولادته ، وانصرف بامبى وفالين .



- ١٥ -

الفصل الخامس عشر

ذهب بامبى يبحث عن أمير الغزال . طوف هنا وهناك الليل بطوله ، ظل يتجول حتى مطلع الفجر وإلى أن أطلت عليه الشمس وهو يطرق مسالك وسبلا جديدة وحده بدون فالين .

إنه يشعر أحيانًا بجاذبية شديدة تجاه فالين ، يستبد به الحب أحيانًا كأنه لم يحبها بمثل هذه العاطفة المشبوبة من قبل ، ويهوى أحيانًا إلى التطوف معها ، يستمع إلى ثرثرتها ، ويرعيا سويًا فى المرج أو عند طرف من أطراف الأحراش . ولكنها لم تعد تملأ عليه حياته تماما . كان قبل ذلك يشعر أن فالين وحدها تغنيه عن كل شيء ، تنسيه لقاءاته مع أمير الغزال ، ذلك الذكر العجوز الذى يهابه الجميع ، وإذا تذكره فإنما يحدث ذلك مصادفة وعرضًا ، ولكنه الآن لا يمل البحث عنه ، ويشعر فى داخله برغبة قوية لا يفهمها تدفعه إلى لقائه ، أما فالين فلم يعد يذكرها إلا حين يهدأ ليرتاح قليلاً من عناء البحث ، إن بإمكانه أن يبقى معها دائما ملازمًا لها لو أراد ، لكنه لم يعد يعبأ كثيرًا بالبقاء مع الآخرين ، وأكثر من هذا أنه بدأ يتجنب قدر المستطاع جوبو أو الخالة عينا .

إن الكلمات العابرة التى جاءت على لسان ذكر الغزال العجوز

عن جوبو لا تزال ترن فى أذنى بامبى ، لقد تركت فى نفسه انطباعًا غريبًا عميقًا ، كذلك ترك جوبو فى نفسه أثرًا غريبًا منذ اليوم الأول لعودته ، لا يعرف بامبى لذلك سببًا ، ولكنه يحس فى داخله بشيء يؤلمه ويؤرقه إزاء سلوك جوبو وطريقته ، إن بامبى يشعر بالخجل من جوبو دون أن يدرى لماذا ، ويشعر بالخوف منه ولكن دون أن يفهم سببًا لذلك أيضًا ، وكلما جمعته الظروف بجوبو ، هذا التافه المسالم الخجول ، تطن فى رأسه كلمات الأمير الكبير : مخلوق بائس مسكين ، ولم يستطع التخلص من هذه العبارة التى تسلطت على ذهنه وتلح عليه .

وذات ليلة حالكة الظلام التقى بامبى بصديقه البوم ، ابتهج بامبى لهذا اللقاء ، وبينما كان يتحدث إليه فاجأه بامبى بالسؤال عن أمير الغزال : « ترى هل تعرف أين ذكر الغزال العجوز الآن ؟ »

أجابت البومة بصوت حاولت أن يكون رقيقًا هادئًا بأن ليس لديها فكرة عن مكانه على الإطلاق ، ولكن بامبى أدرك بفطرته وذكائه أن البومة لا تريد أن تخبره .

قال بامبى : لا .. لا أصدقك إنك خبيثة داهية ، إنك تعرفين كل صغيرة وكبيرة فى الغابة ، لابد وأنك تعرفين أين يختبئ أمير الغزال ؟ .

ضمت البومة ريشها المنفوش وانكمشت ، ثم قالت بصوت يشبه هديل الحمام « طبعا أعرف .. ولكن ليس من حقى أن أقول » .

قال بامبى فى رجاء : « أستحلفك ... أنت تعرفين كم أحبك وأحترمك ؟ » .

تكورت البومة على نفسها ، وحركت عينيها الواسعتين الخبيثتين على نحو ما تفعل دائما حين يعتدل مزاجها ، وتكون مسرورة راضية ثم قالت : « إذًا أنت تحبنى وتحترمنى . ولكننى أسألك لماذا ؟ قل لى أرجوك » .

قال بامبى دون تردد فى صدق وصراحة : أُحبك لحكمتك ، وودك الصادق ، ونفسك الطيبة .. فضلا عن ذكائك وخبثك في إخافة الناس ، إن إخافة الناس عمل شديد الذكاء للغاية – ليتنى أستطيع أن أفعل مثلك ، فأفيد من ذلك فائدة كبيرة .

دست البومة منقارها بين ريش صدرها الناعم الغزير ، وقد أحست بسعادة غامرة ، ثم قالت : « حسن ... أعرف أن ذكر الغزال العجوز يسره أن يراك » .

صاح بامبى وقد كاد قلبه يطفر من شدة الفرح : هل تظنين ذلك حقا ؟ .

أجابت البومة : نعم ، أنا على يقين من ذلك ، يسره حقًا أن يراك ، وأستطيع أن أغامر وأدلك على مكانه الآن .

ضمت ريشها إلى جسمها ثانية وقالت : هل تعرف الحفرة العميقة التى تحيط بها أشجار الصفصاف ؟ .

أومأ بامبى برأسه بمعنى نعم .

وهل تعرف دغل أشـــجار البلوط عند الطرف الأقصى ؟ –
لا .. فلم أذهب أبدًا إلى هناك .

قالت البومة همسًا : حسن .. اسمع ما أقول بانتباه شديد . هناك عند الطرف الأقصى دغل من شجر البلوط .. امْشِ فى داخله ، ستصادفك أشجار بندق وأشجار حور وأشواك ، وسوف تجد فى الوسط شجرة زان اجتثت وملقاة على الأرض ، قد لا يكون من السهل عليك أن تراها إلا إذا ارتفعت قليلا فى الهواء ، هناك تجد الأمير جالسًا عند جذع الشجرة . ولكن لا تقل له أننى أخبرتك عن مكانه .

قال بامبى : عند جذع الشجرة ؟ .

ضحكت البومة وهى تقول : نعم – تجد حفرة فى الأرض هناك ، والجذع ممتد بطولها . وهو ينـام عـادة لصق جذع الشجرة .

قال بامبى وقد شعر فى نفسه بالامتنان شكرًا .. لست أدرى إن كنت سأهتدى إليه أم لا .. ولكنى مدين لك بهذا الجميل ، وانصرف مسرعًا .

حلقت البومة فى صمت وهدوء تلاحقه وتطير وراءه وتصيح بجواره : أوى .. أوى ..

جفل بامبى . وسألته البومة : هل يخيفك نعيبى ؟ .

تلعثم أول الأمر ثم قال فى صراحة : نعم .

خفضت البومة من صوتها وقالت : أردت فقط أن أذكرك بأن لا تقول له إننى أنا التى أخبرتك عن مكانه .

طمأنها بامبى وهو يجرى : طبعًا ... طبعًا لن أقول .

وعندما بلغ بامبى الحفرة نهض ذكر الغزال العجوز وتحرك فى هدوء ووقار حتى إن بامبى تراجع خائفًا .

قال ذكر الغزال العجوز : كنت على يقين من أنك ستبحث عنى وتسعى للقائى .

لزم بامبى الصمت .

سأله أمير الغزال : ماذا تريد ؟.

تلعثم بامبى وهو يقول : لا شىء ...لا شىء ... معذرة ... . لا شىء أبدًا .

وساد الصمت فترة . ثم تحدث ذكر الغزال العجوز ، وكان صوته هذه المرة رقيقًا وقال : أعرف أن هذه ليست المرة الأولى التى تبحث فيها عنى .

وانتظر ، ولم يرد بامبى ، واستطرد ذكر الغزال العجوز وقال : « بالأمس مررت بجانبى مرتين .. واليوم فى الصباح كنت قريبًا منى جدًّا جدًّا » .

استجمع بامبى شجاعته وسأل : لماذا – لماذا قلت ذلك عن جوبو ؟ .

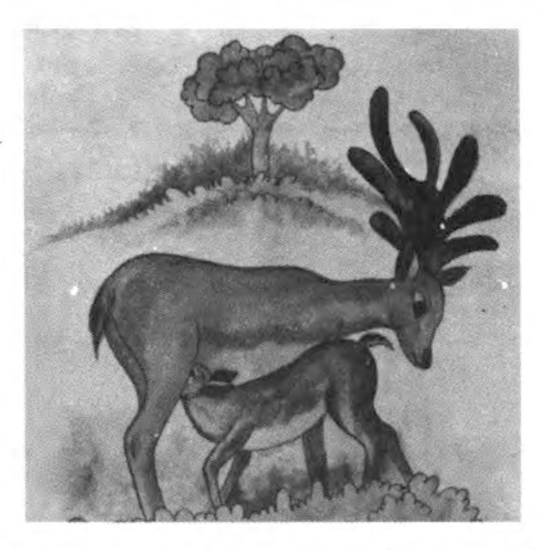
– هل تظن أننى أخطأت .

صاح بامبى فى أسف : لا– لا ، أشعر أنك على صواب .

وأما ذكر الغزال العجوز برأسه وقد استقرت عيناه على بامبى يتطلع إليه بنظرة حانية أكثر من أى وقت مضى .

وقال بامبى : ولكن لماذا ؟ أنا لا أفهم .

قال الأمير : يكفى أنك تحس به ستفهم ذلك فيما بعد . وداعًا .



- ١٦ -

الفصل السادس عشر

أدرك الجميع سريعًا أن جوبو به عادات تبدو غريبة مريبة ، ينام ليلا بينما الجميع أيقاظًا ، ويظل هو يقظًا يطوف فى الغابة طوال النهار ، بينما الباقون يبحثون عن أماكن يستسلمون فيها للنوم ، إذا كانوا نياما خرج من بين الأحراش فى جرأة دون تردد ، ويقف مطمئنًا وهادئ البال تمامًا تحت أشعة الشمس فى المرج .

أحس بامبى أنه لم يعد يطيق صبرا أكثر من ذلك ، وسأله ذات مرة : ألا تفكر فى الخطر أبدًا ؟ .

أجاب جوبو فى بساطة وصراحة : لا ... أبدًا ... لاخطر يتهددنى .

قاطعته أم جوبو قائلة : هل نسيت يا عزيزى بامبى أن الشبح صديق لجوبو . ثم أضافت فى فخر « إن جوبو ينعم بفرص لا تواتيكم جميعًا » ، صمت بامبى ولم يضف كلمة واحدة .

وذات يوم قال له جوبو : « تعرف أننى أشعر بغرابة إذ أستطيع أن أرعى وآكل حيثما أردت وفى أى وقت أشاء .

لم يفهم بامبى ، فقال له : وما وجه الغرابة فى هذا ؟ كلنا يفعل نفس الشىء .

قال جوبو في زهو واستعلاء : أوه - أنت تفعل ذلك ، ولكننى غيرك أختلف عنك ، لقد أعتدت أن يأتينى الطعام ،أو أن أدعى إليه حين يكون جاهزاً .

حدق بامبى فى جوبو وهو يشعر بالإشفاق والأسى .. ثم نظر إلى فالين ومارينا والخالة عينا ، ولكنهم جميعًا كانوا يبتسمون إعجابًا بجوبو .

وقالت فالين : « أظن الأمر سيكون شاقًا عليك فى الشتاء ، سيكون من الصعب عليك أن تستمر على هذا الوضع ، ذلك لأننا لا نجد في الشتاء التبن أو اللفت أو البطاطس ، قال جوبو : هذا صحيح . أنا لم أفكر فى هذا . لا أستطيع أن أتخيل حالى فى الشتاء . إنها كارثة .

قال بامبى : لا ... لا .. لا كارثة ولا شىء ... لا داعى للخوف ... ولكن سيكون حالنا صعبًا فقط .

عاد جوبو ليقول فى شموخ : على أية حال لو شق على الأمر فسوف أرجع إليه ، لماذا أعيش جوعانًا ؟ وما الذى يضطرنى إلى الجوع ؟ لا داعى لذلك .

استدار بامبى دون أن ينطق كلمة واحدة وانصرف . وحين أصبح جوبو ومارينا وحدهما وبدأ يحدثها عن بامبى ، قال : « بامبى

المسكين لا يفهمنى ، لايزال يتصورنى مثلما كنت فى الماضى جوبو الصغير الأبله ، إنه عاجز عن إدراك الحقيقة وهى أننى أصبحت شيئًا فذا غير عادى ، يقول الخطر ؟ ؟ ماذا يعنى بالخطر ؟ ... إن الخطر شيء يتهدده هو وأمثاله أما أنا فلا .

وافقته مارينا على ما قال ،إنها تحبه ، وجوبو يحبها ، وكل منهما سعيد بالآخر .

قال لها : لا أحد يفهمنى مثلك أنت يا حبيبتى . ولكننى لن أضيف بذلك ، ولن أشكو منه ، الجميع يكرمنى ويحترمنى ويحفل بى ، ولكنك تفهمينى أكثر من الجميع ، إننى حين أقول للآخرين إن الشبح طيب ، ينصتون إلى حديثى ولا يتصورون أننى أكذب ، ويتمسكون فى عناد بفكرتهم عنه بأنه شيء مروع .

قالت مارينا وكأنها تحلم : كنت دائما أؤمن به . قال جوبو فى مرح ورضى : حقا ؟ .

استطردت مارينا قائلة : هل تذكر يوم أن تركوك ملقى فوق الثلج ؟ . قلت فى نفسى وقتذاك انه سيأتى يوما ما إلى الغابة ليلعب معنا .

قال جوبو وهو يتثاءب : لا ... لا اذكر ..

ومضت أسابيع قلائل ، وذات صباح كان بامبى وفالين وجوبو ومارينا يقفون معًا وسط دغل أشجار البندق ، كان بامبى وفالين عائدين لتوهما من تطوافهما ، وهم يبحثان عن مخبئهما ، وبينما

هما فى تجوالهما قابلا جوبو ومارينا ،وكان جوبو يتأهب للخروج إلى المرج .

قال بامبى : ابق معنا أفضل ، ستسطع الشمس بعد قليل ولن يخرج أحد إلى الخلاء .

قال جوبو فى ازدراء : هراء .. كلام فارغ .. سأذهب حتى لو لم يذهب إلى هناك غيرى ، ومضى فى طريقه ، ومارينا وراءه .

توقف بامبى وفالين ، ثم قال بامبى فى غضب لفالين : هيا ، هيا ، دعيه يفعل ما يحلو له ، ومضيا فى طريقهما ، وفجأة صاح طائر أبو زريق بصوت عال من الطرف الآخر للمرج ، استدار بامبى فى قفزة واحدة وراح يعدو وراء جوبو ، ولحق به هو ومارينا عند شجرة البلوط .. صاح به : ألم تسمع هذا الصوت ؟ .

سأل جوبو فى حيرة وارتباك : ماذا ؟ .

صاح ثانية طائر أبو زريق ، وعاد بامبى يسأل : ألم تسمع هذا الصوت ؟ .

قال جوبو فى هدوء : لا ..

قال بامبى فى يقين : هذا يعن الخطر ..

وبدأ طائر العقعق يثرثر بصوت عال ، مرة ثانية وثالثة ، وعاد طائر أبو زريق إلى الصياح من جديد ، وشرعت الغربان تنعب لتحذر كل من فى الغابة .

قالت فالين ترجوه ضارعة : لا تذهب إلى هناك يا جوبو – الخطر .

وبدأت مارينا هى الأخرى تتوسل إليه : ابق هنا . ابق هنا اليوم يا حبيبى . الخطر .

ظل جوبو واقفًا فى مكانه ،يبتسم فى كبرياء واستعلاء . وقال : خطر ، خطر – وماذا يعنينى فى ذلك .

وواتت بامبى فكرة وقال : على الأقل دع مارينا تذهب أولا ، حتى نستطيع أن نكتشف ... .

لم يكد يكمل حديثه حتى انسلت مارينا خارجة ... و

ووقف ثلاثتهم ينظرون إليها ، حبس بامبى وفالين أنفاسهما ، وجوبو ينظر فى صبر واضح كأنه تركهما ليستمتعا بنزواتهما الخرقاء .

سارت مارينا بخطوات مترددة نحو المرج . رفعت رأسها ، وحدقت البصر يمينًا وشمالا . وتشممت الهواء فى كل اتجاه ، وفجأة استدارت فى قفزة واحدة ورجعت كأنها ومضة برق ، أو كأن صاعقة هبطت عليها . اندفعت إلى داخل الأحراش .

حبس الفزع صوتها وقالت بصوت خافت متقطع وجسمها كله يرتجف : إنه هو – هو ، لقد رأيته ، إنه هو ، يقف وراء الشجر . صاح بامبى : هيا سريعًا .

وقالت فالين فى رجاء : هيا .

وحالت مارينا أن تستجمع شجاعتها لتقول : أرجوك تعال الآن يا جوبو ، أرجوك . ولكن جوبو ظل ثابتًا فى مكانه وقال : اجروا كما يحلو لكم ، لن أمنعكم ، إذا كان هو هناك فإننى أريد أن أتحدث إليه ، ولم يتزحزح جوبو عن موقفه .

وقف الثلاثة يرقبونه كيف يمشى فى ثبات واطمئنان ، بينما تملكهم خوف شديد عليه ، ووقف جوبو فى جرأة وثبات وسط المرج ، يتطلع ناحية الأشجار التى قالت مارينا ،إن الشبح يقف عندها ، وبدا أنه عرف مكانه ، وفجأة قصف الرعد ، وقفز جوبو فى الهواء عندما دوى صوت الانفجار ، واستدار فجأة وفر هاربًا وسط الغابة يترنح .

كان الثلاثة لا يزالون واقفين فى مكانهم حين أقبل عليهم وقد تجمدوا من الفزع ،سمعوه يلهث وقد تقطعت أنفاسه ، لم يتوقف عن الجرى عندما اقترب منهم ، بل واصل اندفاعه هاربًا بعيدًا إلى داخل الغابة ، استداروا على الفور ، وأحاطوا به ولاذوا جميعًا بالفرار .

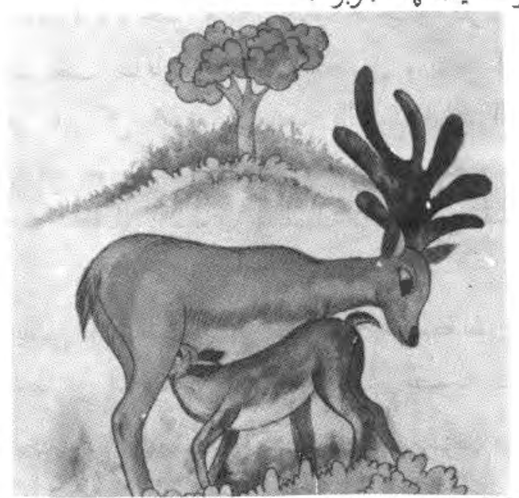
ولكن جوبو المسكين سقط على الأرض من شدة الإعياء ،وقفت مارينا إلى جواره ، بينما وقف بامبى وفالين بعيدًا وقد تأهبا للفرار .

رقد جوبو ملطخًا بالدم ، إذ كانت خاصرته تنزف دما غزيرًا ، حاول أن يرفع رأسه فى إعياء شديد ، وقال بعد جهد : « مارينا ... . مارينا » ، لم يتعرف عليها ، خانه صوته واحتبس .

سمعوا حفيفًا عاليًا بين الأشجار فى المرج ، أحنت مارينا رأسها فوق جوبو ، وهمست فى هياج وسعار : « إنه آت – جوبو ، انهض ، إنه قادم ، ألا تستطيع أن تتحامل على نفسك وتقف لتأتى معى ؟ .

رفع جوبو رأسه ثانية فى ضعف وإعياء وتحركت سيقانه حركات تشنجية ثم سكن تماما ، وتعالى صوت حفيف أوراق الشجر . وخشخشة الأغصان وظهر الشبح يشق طريقه من بين الأشجار .

رأته مارينا عن قرب ، ارتدت فى خفة وهدوء وتوارت خلف أقرب الأشجار ، وأسرعت مندفعة فى اتجاه بامبى وفالين – نظرت خلفها ورأته – الشبح ينحنى ويمسك بالغزال الجريح ، ثم سمعوا صرخة الموت يطلقها جوبو .



- ١٧ -

الفصل السابع عشر

كان بامبى وحده ، يتمشى بجوار جدول ماء يسرى هادئًا رقراقًا بين عيدان البوص وأشجار الصفصاف ، كثر تردده إلى هذا المكان ليخلو إلى نفسه ، إذا نادرًا ما يصادف هناك أحدًا من أصدقائه . وهذا هو عين المراد ، فقد تزاحمت الأفكار الجادة فى رأسه وأثقلت الهموم قلبه ، لم يعد يدرى ما الذى يجرى فى دخله ، ولم يعد يشغله ذلك . بل يدع خواطره تجرى على سجيتها دون هدف محدد ، أو توجيه مقصود ، وأحس وكأن حياته أضحت أكثر كآبة .

اعتاد أن يقف ساعات على ضفةالجدول ، يتأمل الماء ويشغله التيار الدافق عن كل همومه ، وينعم بالنسيم البارد العليل الذى يتصاعد إليه مع موجات الماء الهادئة ، فتنتعش نفسه ، ويعبق الجو بروائح نفاذة تدفعه إلى السلوى والنسيان ، وتثير فى نفسه إحساسًا بالثقة .

يرقب بامبى أحيانًا البط يسبح أسرابًا فوق صفحة الماء ، ولا تكف جماعات البط عن الثرثرة الواحدة مع الأخرى بصورة ودية وجادة .

ورأى بطتين من الأمهات كل منهما يحيط بها سرب من الصغار ،

الأم دائبة صابرة على تعليم أفراخها أشياء كثيرة ، والصغار تتعلم سريعًا كل ما تلقنها به الأم ، ويحدث أحيانًا أن تقأقئ إحدى الأمهات محذرة ، وهنا يندفع نحوها صغارها من كل اتجاه ، وقد تنتشر لصغار فوق صفحة الماء تسبح فى هدوء وصمت ،ورأى بامبى كيف أن أفراخ البط التى تعجز عن الطيران تجدف بقدميها ، وتسبح وسط نبات السمار الكثيف دون أن تحرك ساقًا واحدة من سيقان هذا النبات على كثافته ، وتعجب لتلك الأجسام السوداء الصغيرة التى تنزلق فى هدوء على صفحة الماء سابحة هنا وهناك بين عيدان البوص ، نستغرقه هذه المشاهد وينسى كل شىء .

وقد يحدث أن تصدر إحدى الأمهات نداء قصيرًا ، وإذا بكل السرب يعود إليها فى لمح البصر ويحيط بها ، يقف بامبى يتأمل وتتجدد دهشته وإعجابه مع كل مرة ، كان يجد فى تلك المشاهد مصدرًا دائما للتسرية والدهشة .

وذات مرة وبينما كان بامبى غارقًا فى تأملاته وإعجابه سأل إحدى الأمهات : « ما هذا ؟ لقد كنت أتأملكم وأنظر إليكم عن قرب ولكننى لم أر شيئًا » .

أجابت البطة الأم : لا شىء على الاطلاق .

ومرة أخرى أعطت إحدى صغار البط إشارة وعادت كومضة البرق ، وعيناها تحدق بين عيدان البوص . وخرجت من الماء لتقف على الشاطئ حيث كان بامبى واقفًا .

وأجاب فرخ البط وهو يهز ذيله على نحو ما يفعل الكبار ، ويضم طرفى جناحيه إلى جسمه : « لا شىء ... لم يحدث شىء » . ثم عاد ليسبح فى الماء من جديد .

وعلى الرغم من هذا كان بامبى يثق فى البط ، وانتهى إلى نتيجة محددة ، هى أن البط أكثر منه يقظة ، يرى ويسمع الأشياء على نحو أفضل منه . وأحس بأنه حين يقف يخف كثيرًا ذلك التوتر الذى يعانى منه فى داخله . واستهواه التحدث إلى البط ، ذلك لأن البط لا يتحدث هراء مثل الهراء الذى يسمعه من كثيرين غيره ، إنه يتحدث عن السماء الفسيحة التى يحلق فيها ، وعن الرياح والحقول البعيدة التى يقتات فيها طعامه المختار .

وقع بصر بامبى بين حين وآخر على شىء يشبه شريطًا ناريًا يمرق فى الهواء بجانب الجدول ، « سرررررى » إنها صيحة الطائر الذى يندفع فى خفة كالسهم كأنه بقعة تئز فى الهواء ، يبدو حين يمضى كأنه ومضة برق خضراء أو وهج أحمر . أحس بامبى برجفة تسرى فى جسده ، وتمنى لو رأى هذا الغريب البراق عن قرب ،ناداه بامبى .

قالت الدجاجة لبامبى من بين أكوام عيدان القصب « لاتتعب نفسك بالنداء عليه ، إنه لن يرد عليك » .

أمعن بامبى النظر بين عيدان القصب وسأل : أين أنت ؟ .

ضحكت الدجاجة بصوت عال ، جاء صوتها من مكان آخر

غير الذى كانت فيه قبل قليل وقالت :« هاأنذا » إن هذا المخلوق النزق الغريب الذى ناديته الآن لم يتحدث إليك . لا جدوى من النداء .

قال بامبى : « إنه وسيم جميل الطلعة » .

وقالت الدجاجة تصحح له معلوماته ،وجاء صوتها هذه المرة أيضًا من مكان ثالث : « ولكنه سيئ الطباع » .

سألها بامبى : لماذا تظنيه سيئ الطباع ؟ .

أجابت الدجاجة من مكان غير السابق : « إنه لا يعبأ بأحد ، ولا يعنيه أى شىء ، ليكن ما يكون وليحدث أى شىء ، فإنه لن يتكلم مع أى مخلوق ولم يشكر أى أحد على حديثه معه . ولا يحذر أحدًا إذا كان هناك خطر يوشك أن يقع . لم يقل كلمة واحدة فى حياته لمخلوق » .

قال باسبى : آه مسكين بائس .

واستطردت الدجاجة في حديثها بصوت يشبه صوت الناى على البعد : « لعله يظن الناس يحقدون عليه ويحسدونه لهذه البقع الملونه السخيفة التى تزركش جسمه ولا يريد أحدًا أن ينظر إليه » .

وقال بامبى : هناك مخلوقات أخرى تحرص على ألا تنظر إليها .

قالت الدجاجة بعد أن ابتعدت عن المكان فى ومضة البرق : على أية حال ليس عندى ما أحسد عليه وابتعدت ، ونزلت الماء ونادت وهى وسط الماء : « لست أدرى كيف يحتمل البعض البقاء

فى مكانه فترة طويلة . ثم أضافت من مكان آخر « إنه لأمر متعب وخطير أن يبقى المرء فى موضع واحد فترة طويلة وصاحت من الطرف الآخر للجدول : « عليك أن تكون دائم الحركة والتنقل ، لا تثبت فى مكان واحد طويلا إذا شئت الأمن والسلامة » .

جفل بامبى حين سمع حفيفًا بين العشب ، تلفت حوله ، أبصر ومضة حمراء بين الأشجار ، ثم اختفت بين عيدان القصب ،ووصلت إلى أنفه فى نفس الوقت رائحة دافئة نفاذة . آه لقد مرق الثعلب من هنا .

أراد بامبى أن يصرخ ويدق الأرض بحافره للتحذير . ولكن الدجاج ضرب الهواء بأجنحته ، وقفز عدة قفزات سريعة عند مرور الثعلب ، تناثر الماء بقوة وصاحت بطة ، سمع بامبى أجنحتها وهى ترف فى الهواء ، ورأى جسمها الأبيض يلمع فى ضوء الشمس بين أوراق الشجر ، رآها تلطم بجناحيها وجه الثعلب لطمات حادة قوية ، ثم خمدت .

خرج الثعلب فى هذه اللحظة من بين الأشجار قابضًا على البطة بين فكيه ، تدلت رقبتها فى الهواء ، بينما جناحاها لايزالان يرفان كأنهما يرتجفان ، ولكن الثعلب لم يعبأ بذلك ، نظر بطرف عينه إلى بامبى بنظراته الخبيثة الحذرة ثم انسل ببطء داخل الأجمة ، وجمد بامبى فى مكانه ، لم يتحرك .

حوم بعض البط فى الهواء ، يضرب بأجنحته ضربات قوية ،

ويطوف على غير هدى فى فزع شديد . وصاحت الدجاجة صيحات التحذير فى كل اتجاه وسقسق طائر القرقف مهتاجًا بين الأشجار ، وحلق الطائر الطنان على طول الضفة .

وصاح به البط الصغير : « أرجوك اخبرنا ، هل رأيت أمنا » ؟ .

صاح الطائر الطنان : « سرررى ... ما شأنى بها ، وماذا ستفعل معى ، وطار بعيدًا كومضة البرق .

استدار بامبى ومشى بعيدًا ، لجول بين نبات عصا الذهب ، ثم اجتاز أجمة من أشجار خشب الزان ، وبعدها بستان من شجر البندق حتى بلغ حافة الحفرة العميقة ، طاف حولها ، على أمل أن يرى ذكر الغزال العجوز ، إنه لم ير الأمير الأكبر منذ زمن طويل ، وبعد وفاة جوبو ، ولمحه من بعد ، فهرع نحوه ليقابله ، سارا معًا فترة صامتين ، ثم سأله الأمير : « حسن ، هل لا يزالون يتحدثون عنه بنفس الطريقة » ؟ .

أدرك بامبى أنه يقصد جوبو ، فرد عليه قائلا : « لا أعرف . إننى وحيد الآن تقريبًا » ثم تردد لحظة وقال ولكننى أذكره كثيرًا .

قال أمير الغزلان : هل تعيش وحيدًا الآن حقًا ؟ .

نعم .

ولكن ظل الأمير صامتًا .

واصلا السير فى طريقهما ، وفجأة توقف الأمير وسأل بامبى : « ألا تسمع شيئًا ؟ » .

صمت بامبى ، لم يسمع شيئًا .

صاح به الأمير « تعال ... » ثم أسرع فى طريقه .

تبعه بامبى ، وتوقف الأمير بعد قليل ، وعاد يسأل : « هل لم تسمع شيئًا بعد ؟ » .

سمع بامبى حفيفًا لم يفهمه .كان يشبه صوت خشخشة الأغصان حين تميل وترتفع ثانية عدة مرات ، وسمع شيئًا يدب على الأرض بطريقة غير منتظمة ، أراد بامبى أن يفر هاربًا ولكن ذكر الغزال العجوز صاح به « تعال معى » وجرى فى اتجاه الصوت ، لم يتمالك بامبى نفسه وغامر بسؤاله : أليس فى هذا خطر علينا ؟ .

أجاب الأمير : خطر مهول .

وأبصرا أغصانا تشد وتسحب بقوة من على الأرض ثم يلوح بها فى عنف ، اقتربا أكثر وأكثر ورأيا طريقًا ضيقًا يخترق الأشجار .
كان الأرنب الصديق راقدًا على الأرض ، ثم رقد ساكنًا وعاد يتلوى ، كانت حركاته تجذب الأغصان وتلقى بها فوقه .

لحظ بامبى حبلا طويلا ممتدًا يصل ما بين الغصن وبين الأرنب وقد التف حول رقبته .

يبدو أن الأرنب سمع صوتًا يقترب منه . ذلك لأنه قذف نفسه بعنف فى الهواء ، ثم سقط على الأرض ، حاول الهرب ثم تدحرج وأخذ يتلوى فوق العشب ويضرب الأرض والهواء بأقدامه .

قال الأمير : اثبت مكانك ، لا تتحرك ، ثم قال بصوت خافت عطوف كان له أثره القوى عل نفس بامبى « اهدأ بالا يا صديقنا الأرنب ، لا تخف ، إنه أنا ، اثبت ولا تتحرك الآن » .

رقد الأرنب جامدًا بغير حراك ممددًا على الأرض ، وكانت أنفاسه المخنوقة تخشخش فى حلقه . عض الأمير على الغصن بأسنانه ثم لواه ، ولف حوله وقد ألق بكل ثقله عليه ، وضغط بحافره عليه وكسره بضربة واحدة من قرنيه .

مال برأسه ليشجع الأرنب وقال له : « اثبت مكانك ولا تتحرك حتى لو أصابك منى بعض الأذى » .

أحنى رأيه ، ووضع طرف قرنه قرب رقبة الأرنب وضغط بقوة خلف أذنه ، وبدأ الأرنب يتلوى .

تراجع أمير الغزلان إلى الوراء . وقال بلهجة آمرة : اثبت لا تتحرك ، إنهامسأله حياة أو موت بالنسبة لك . وبدأ المحاولة من جديد ، رقد الأرنب ساكنًا يلهث ، ووقف بامبى بالقرب منه صامتًا مذهولا .

استطاع الأرنب أن يتنفس ، عبر عن فزعه وألمه بتنهيدة حادة عميقة .

صاح به الأمير منبها ومؤنبًا : « اسكت – اسكت » كان فمه قريبًا من كتف الأرنب وقرناه بين الأذنين الشبيهين بالملعقة وقال

له : ما هذا الغباء ، كيف تصبح الآن ؟ ، هل تريد أن يسمعك الثعلب ليأتى فرحًا بالوليمة ؟ اسكت إذن .

استمر ذكر الغزال العجوز فى محاولته دون أن ييأس ، وبذل كل جهده وقوته ، وفجأة انقطع حبل الشرك الذى يحيط برقبته ، لم يصدق الأرنب أنه عاد حرًا ، خطا خطوتين ثم رقد مذهولا كأنه يعانى من دوار ، وبدأ يثب ببطء أول الأمر ثم أسرع فى عدوه ، وتابعه بامبى بنظراته ، وصاح به : « هكذا تجرى دون كلمة شكر » .

قال ذكر الغزال العجوز : « إنه لايزال خائفًا فزعًا » .

كان حبل الأنشوطة ملقى على الأرض . لمسه بامبى برفق ، صدر صوت يشبه الطقطقة ، خاف بامبى . إنه صوت غريب لم يسمع بامبى مثله فى الغابة .

سأل بامبى فى هدوء : هل هذا هو ؟ .

أومأ الأمير برأسه سارا معًا صامتين . قال الأمير « كن حذرًا إذا ما اخترقت أحد دروب الغابة الضيقة ، اختبر أغصان الشجر ، ادفع بها بقرنيك على الجانبين ، وارجع إلى الوراء فورًا إذا سمعت مثل هذه الطقطقة .

غرق بامبى فى تفكير عميق ، وبدا مهموما . وقال هامسا : « هل الشبح غير موجود هنا ؟ » .

قال الأمير : « لا ، إنه ليس فى الغابة الآن » .

قال بامبى وهو يهز رأسه : ولكن آثاره موجودة هنا على الرغم من ذلك .

سرح الأمير قليلا بفكره ثم قال بصوت تملؤه المرارة والألم :

كيف عبر صديقك جوبو عن ذلك ؟ ، ألم يقل لك جوبو بإنه قوى شديد البأس ، طيب إلى أقصى حد . من أين له هذا الكلام ؟ .

همس بامبى : كان طيبًا مع جوبو .

توقف الأمير عن السير ، وسأل بامبى فى حزن : هل تصدق ذلك يا بامبى ؟ ، كانت هذه هى المرة الأولى التى ينادى فيها بامبى باسمه .

قال بامبى : لا أعرف – لا أفهم ذلك .

قال الأمير فى ثقة وهدوء : يجب أن تتعلم الحياة والحذر معًا ، كيف نعيش وكيف نحذر فى آن واحد .

- ١٨ -

الفصل الثامن عشر

ذات صباح أحس بامبى بكآبة مريرة كأن نازلة توشك أن تصيبه ، كان الفجر الرمادى الشاحب يزحف عبر الغابة . والضباب الأبيض الكابى يتصاعد من بين المرج ، والسكون الذى يسبق انتشار الضوء يسود كل مكان ، والطيور لاتزال مستسلمة للنوم فى أوكارها .

قابل بامبى فالين بالأمس ، تطلعت إليه حزينة خجلى ، وقالت فى رقة وعذوبة : أصبحت وحيدة أكثر الأوقات الآن .

وقال بامبى بعد تردد : وأنا وحيد أيضًا .

سألته فالين فى أسى : ولماذا لم تعد تطيق البقاء معى مثلما كنت فيما مضى ؟ .

أحزنه أن يرى فالين المرحة الممتلئة حيوية ونشاطًا تبدو حزينة كسيفة البال ، وقال لها : أريد أن أكون وحدى ، أشعر برغبة فى الوحدة ، وحاول ان يخفف من وقع كلماته عليها ، وتعمد الرقة فى حديثه ، غير أن كلماته آلمتها أشد الألم ، وأحس هو بذلك .

تطلعت إليه فالين وسألته بصوت عذب خافت : ألا تزال تحبنى ؟ .

أجاب بامبى بصوت يحاكى نبرة صوتها : لست أدرى .

مشت فى هدوء بعيدًا عنه ، وتركته وحده ، وقف تحت شجرة البلوط الضخمة عند طرف المرج ، وهو يحدق فى حذر ، ويملأ صدره بهواء الصباح النقى المنعش ، انبعثت رطوبة عذبة من الأرض والندى والعشب والشجر المبلل ، تنفس بامبى أنفاسًا عميقة ، كأنه يعب الهواء عبًا ، أحس بنفسه أكثر تحررًا ، وخطا سعيدًا فوق المرج الذى يكتنفه الضباب .

ودودى صوت مثل قصف الرعد ، وأحس بامبى بلطمة مهولة جعلته يترنح ، ذهب الخوف بصوابه ، وقفز كالمجنون وسط الأجمة وظل يجرى ، لم يفهم شيئًا عما حدث ، عجز عن أن يستجمع فكره وعن تفسير أى شىء ، إنه لا يستطيع إلا أن يجرى ويجرى ويظل يجرى دون توقف ، قبض الخوف قلبه ، وأخذ يلهث وهو مندفع لا يدرى إلى أين ، ثم أحس بألم قاتل يخترق جسده ، ولم يعد قادرًا على احتماله ، شعر بشىء دافىء يسيل فوق كتفه ، إنه يشبه خيطًا رفيعًا من اللهب ، ينبعث من موضع الألم ، اضطر بامبى إلى التوقف ، سار على مهل ، أحس بانه يعرج ، وهوى إلى الأرض من شدة الإعياء ، وآثر الرقاد التماسا للراحة .

بامبى – قم – انهض ، إنه الأمير العجوز ، كان بجانبه يحاول أن يمس كتفه مسًا خفيفًا .

حاول بامبى أن يجيب قائلا : « لا أستطيع – غير أن الأمير العجوز عاد يناديه : » قم – قم ..

كان صوته مفعما رقة وحنانًا ، مما جعل بامبى يستسلم له صامتًا ، وسكن الألم لحظة ، ثم قال الأمير فى لهفة وقلق : « انهض – يجب أن تبعد عن هذا المكان يابنى – يابنى ، كأن الكلمة أفلتت منه على الرغم منه ، وفى لمح البصر كان بامبى واقفًا .

تنفس ذكر الغزال العجوز بعمق وقال : « حسن – تعال معى الآن ، وكن بجانبى » .

سارا في هدوء وحذر ، بامبى يتبعه وإن أحس برغبة حارقة فى الرقاد ساكنًا لعله يرتاح ، وكأنما فطن الأمير لما يدور فى نفسه فقال له دون أن يتوقف : عليك أن تتحمل أى ألم ، مهما كان قاسيًا ، لا تفكر فى الراحة أو الرقاد الآن حتى ولو للحظة واحدة ، واجبك الأول أن تنقذ نفسك ، هل تفهمنى يايامبى ؟ انقذ نفسك . وإلا ضعت وفقدت نفسك إلى الأبد ، لا تنسى أنا وراءك الشبح – هل تفهم يا بامبى ؟ وسوف يقتلك بغير رحمة ، هيا ، ابق بجانبى .

ستكون على ما يرام الآن ، ستتحسن حالتك ، وكان بامبى خائر القوى ، عاجزًا عن التفكير ، يخترق الألم جسده مع كل خطوة يخطوها ، استنفد الألم طاقته وشعوره ، ولقد اختار الأمير

طريقًا طويلا ليبعد عن مكمن الخطر ، ومن بين الألم والوهن ، أحس بامبى بذهول حين رأى نفسه أمام شجرة البلوط الضخمة ثانية .

توقف ذكر الغزال العجوز وتشمم الأرض ، وهمس قائلا : « إنه لا يزال هنا – إنه هو – الشبح ، وهذا كلبه ، هيا – اسرع » – وجريا .

فجأة توقف الأمير ثانية وقال : انظر – هذا هو المكان الذى سقطت فيه على الأرض ، ورأى بامبى العشب الملطخ بدمه وقد التصق بالأرض .

دار الأمير حول البقعة التى سقط فيها بامبى وتشمم الأرض فى حذر . ثم قال : « كان هنا هو وكلبه . هيا » ، وسار يبطء يتشمم الأرض بين حين وآخر .

أبصر بامبى البقع الحمراء تلمع فوق أوراق الشجر ونصال العشب ، وقال فى نفسه : « لقد مررنا من هنا قبل ذلك » ولكنه لم يستطع الكلام .

وقال ذكر الغزال العجوز مسرورًا : « آها .. أصبحنا خلفهم الآن » . وواصل السير على نفس الدرب ، ثم عاد يلف ويدور دورة جديدة ، رجع إلى شجرة البلوط ثانية هو وبامبى ولكن من الاتجاه المضاد ، وهكذا مرا ثانية بالمكان الذى سقط فيه بامبى ، ثم اتخذ الأمير اتجاهًا آخر فى سيره .

توقف فجأة ، ودفع بعض العشب جانبًا ، ثم قال بلهجة آمرة : « كل هذا . أشار إلى ورقتى شجر شديدتى الخضرة ، نبتتا متلاصقتين فى الأرض ، أطاعه بامبى ، كان طعمهما لاذعًا يثير الغثيان ، وبعد فترة سأله الأمير : كيف حالك الآن ؟

أجاب بامبى : « أحسن » ، شعر فجأة بأنه قادر على الكلام ، هدأت آلامه ، وخف تعبه .

وبعد راحة قصيرة قال له ذكر الغـزال العجوز : هيا نمضى فى طريقنا ، تبعه بامبى مسافة طويلـة ثم سمعه يقـول « أخيرًا » وتوقفا .

قال الأمير : لقد توقف النزيف ، لم يعد الجرح يفرغ ما فى عروقك من دم ، ولهذا لن يترك أثرًا على الأرض يوشى بك ويدله هو أو كلبه على مكانك .

بدا على الأمير القلق والتعب ، وإن كشف صوته عن رنة فرح حين استطرد قائلا : هيا - الآن نستطيع أن نستريح . وصلا إلى حفرة واسعة لم يرها بامبى من قبل ، هبط الأمير إليها فى حذر واقتفى بامبى أثره ، بذل بامبى جهدًا كبيرًا ليضبط توازنه وهو يهبط فوق المنحدر الوعر ، كان يتعثر ويستعيد توازنه ليتعثر من جديد ، وقد تقطعت أنفاسه .

قال له ذكر الغزال العجوز : لا أستطيع مساعدتك ، حاول أن

تعتمد على نفسك ، بلغ بامبى النهاية ، أحس بشىء ساخن يسيل فوق كتفه ، كما شعر بقوته تتهاوى وتنهار من جديد .

قال له الأمير : عدت تنزف ثانية ، كنت أتوقع هذا ، ولكن بسيطة ، لاخطر عليك ، ثم قال بصوت هامس : « والأمر سيان الآن » .

سارا على مهل وببطء شديد وسط أجمة من أشجار الزان ، كانت الأرض مستوية ناعمة مما جعل السير سهلا ، أحس بامبى برغبة ملحة فى الراحة والنوم ، تمنى لو استطاع أن يستلقى على الأرض يمدد جسمه ولا يتحرك لفترة طويلة ، لم يعد قادرًا على المضى فى السير ، بدأ الطنين يملأ أذنيه ، والرجفة أصابت أعصابه ، والحمى توشك أن تصدعه ، وغامت الرؤية أمام عينيه ، لم يعد يتمنى شيئًا غير الراحة ، تذكر كيف كان يقضى أيامًا بطولها وهو صحيح معافى يسير على قدميه يطوف وسط الغابة ، إنه لم يصب إلا منذ ساعة فقط ، ولكن خيل إليه أنه قد مضى عليها دهر كامل .

سارا وسط دغل من أشجار البلوط والقرانيا ، اعترض طريقهما جذع ضخم يسد عليهما الطريق ، وسمع بامبى صوت الأمير يقول : « من هنا » ؟ .

سار بحذاء الجذع وبامبى بجواره ، خيل إليه كأن الأمير قد هبط فى حفرة أمامه ، ولكنه سمع صوته ثانية يقول : « هاهنا - يمكنك أن ترقد هنا » .

ألقى بامبى بنفسه على الأرض ولم يتحرك ، كانت الحفرة أشبه بغرفة صغيرة تحيط بها الأشجار وتخفى من بداخلها عن أعين الغرباء .

قال له الأمير : أنت هنا فى أمان ، ومضت الأيام . قضى بامبى الأيام راقدًا على الأرض الدافئه ، اشتد عليه الألم أول الأمر ، ثم خف تدريجيًا حتى زال وشفى تمامًا .

اعتاد أن يتسلق الحفرة أحيانًا ، يحاول أن يتمالك نفسه ، ويسير مترنحًا فقد كانت سيقانه لا تزال ضعيفة من وطأة المرض ، بدأ يخطو خطوات قليلة أول الأمر يبحث عن طعام ، وهو يقتات الآن وأحب مذاقها ورائحتها ، إن كل ما كان يعزف عنه ويشمئز منه ويضيق براحته قبل ذلك بات شهيًا ، حلو الطعن والرائحة ، أصبح الطعام سبيله للشفاء والصحة والعافية ، واستعاد قوته .

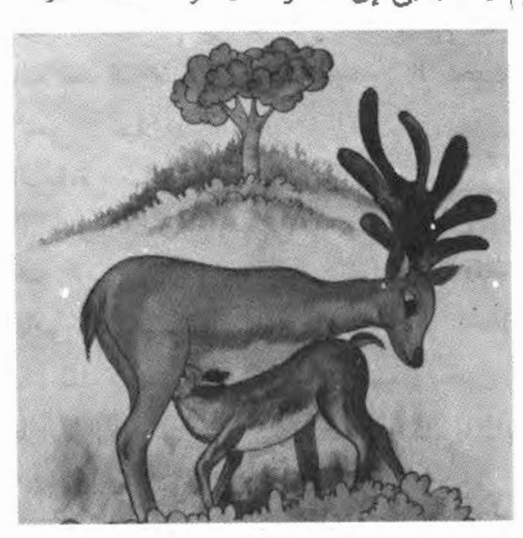
ولكنه لم يترك الحفرة بعد ، يطوف حولها ليلا ثم يأوى إليها لينام فى هدوء نهارًا ، بدأ يستعيد ذكريات الأحداث الأليمة التى مرت به ، تملكه خوف شديد ، وسرت فى جسده رعدة ، لم يستطع التخلص من هذه المشاعر ، أحس بنفسه عاجزًا عن النهوض والعدو مثلما كان من قبل ، رقد ساكنًا مهمومًا ، تناوبته مشاعر من الهلع والخجل والذهول والهم والقلق .

كان ذكر الغزال العجوز معه دائما لم يتخل عنه ، ظل بجانب

بامبى ليل نهار فى أول الأمر . ثم بدأ يتركه أحيانًا ليعوده ثانية ، ولكنه كان دائما قريبًا منه .

وذات مساء قصف الرعد ، وومض البرق ، وهطل المطر غزيرًا على الرغم من صفاء السماء وسطوع الشمس ، صدحت الطيور بصوت عال فوق أغصان الأشجار العالية ، وقأقأ الدجاج وهو يجرى فوق العشب وبين الأشجار ، وعلا ضحك نقار الخشب جـذلان فرحًا ، وارتفع هديل الحمام يغنى أغانى الحب .

زحف بامبى خارجًا من الحفرة ، بدت الحياة جميلة ، ووقف أمير الغزال عند حافة الحفرة كأنه يتوقع بامبى . سارا سويًا على مهل ، ولم يعد بامبى إلى الحفرة ثانية وكذلك الأمير .



- ١٩ -

الفصل التاسع عشر

ذات مساء ، وبينما كان الهواء يوشوش أوراق الخريف المتساقطة ، صرخت البومة صرخة حادة نافذة من بين الأغصان ثم صمتت ، وتلصص بامبى بعينيه ، يختلس النظر من بين أوراق الشجر فى محاولة لاستكشاف الأمر .

طارت البومة من غصن إلى غصن ثم صاحت من جديد ، وصمتت ثانية ، ولكن بامبى لم يقل شيئاً ، ولم تتمالك البومة نفسها وسألته بعد أن استاءت لموقفه نحوها : ألم تخف ؟ .

أجاب بامبى : قليلا .

قالت البومة فى ضيق وغضب : هذا كل ما فى الأمر – خفت قليلا فقط ، كنت تفزع من صوتى وأبتهج لخوفك ، ولكن لماذا لم تعد تخاف الآن منى ؟ ، وتغيظنى وتقول قليلا فقط .

حاول بامبى أن يجيب ويقول لها : « لا لم أكن أخافك » ولكنه آثر الصمت ، فقد ساءه أن يرى البومة غاضبة ، حاول أن يواسيها ويهدئها فقال لها : « ربما لأننى كنت أفكر فيك لحظتها . سرت البومة لكلامه فقالت : ماذا ؟ هل حقاً كنت تفكر فى ؟ .

أجاب بامبى بعد تردد : نعم – فور سماعى لصياحك ، ولولا ذلك لأصابنى هلع شديد .

نعبت البومة قائلة : حقًا ؟ .

لم يستطع بامبى الإنكار ، ما الفرق ؟ دعها تخدع نفسها ، وتتمتع هذه البومة العجوز المتصابية . عاد يؤكد لها ما قاله لها : حقًا – أشعر بسعادة حين تسرى فى نفسى رعدة خوف على أثر سماعى صوتك بغتة .

نفشت البومة ريشها فرحة سعيدة ، وقالت فى رقة وحنان : « جميل منك أن تذكرنى ، يسرنى هذا منك : لم ير أحدنا الأخر منذ زمن طويل » .

قال بامبى : فعلا لم ير أحدنا الآخر منذ زمن طويل .

قالت البومة : أظنك لم تعد تستخدم الدروب القديمة .

لا – لم أعد أستخدمها .

قالت البومة فى تفاخر : اصبحت لى خبرة واسعة بالدنيا ، وأشاهد من العالم أكثر مما يشاهد غيرى ، ولكنها لم تذكر أن بومة منافسة طردتها من مأواها لتحل محلها ، ثم أردفت قائلة : « لا تستطيع أن تبقى فى مكان واحد إلى الأبد » وانتظرت إجابة من بامبى ، ولكن بامبى تركها وسار بعيدًا ، أصبح الآن مثل ذكر الغزال العجوز يعرف كيف يظهر ، وكيف يختفى فجأة وخلسة دون أن ينتبه أحد لحركته . ضاقت البومة لاختفائه وقالت فى نفسها : ياللعار .

وضمت ريشها ، ودست منقارها فى صدرها وتأملت فى صمت تفلسف الحياة لنفسها ، « لا تأمن لصداقة العامة . لهم مذاق الحلوى وجاذبيتها ، ولكن إذا دار الزمان أو جار عليك نسوك وأسقطوك من حسابهم تمامًا ، وتركوك وحيدًا مثلما أنا الآن .. » .

وفجأة سقطت إلى الأرض كقطعة حجر . لمحت فأرًا . انقضت عليه ،وأفرغت ثورتها وغضبها فيه حين نهشت لحمه ومزقته إربًا ، والتهمته بسرعة ، وطارت بعد ذلك ، وقالت متسائلة : « ماذا يعنينى من هؤلاء العامة ؟

لا شىء وأخذت تصيح صيحاتها العالية النفاذة حتى أن حمامتين استيقظتا من نومهما فزعتين ، وفرتا بعيدًا عن عشهما وهما يلطمان الهواء بأجنحتهما .

اكتسح الإعصار الغابة أيامًا عديدة ، واقتلع آخر أوراق الأشجار من غصونها ، ووقفت الأشجار عارية جرداء ، وكان باسبى يتمشى فى طريقه إلى البيت مع مطلع الفجر ، عاد من جولته لينام فى جحره مع ذكر الغزال العجوز .

سمع صوتًا حادًا يناديه مرة أو مرتين متتابعتين ، توقف ،هبط السنجاب من فوق الشجرة فى قفزات سريعة ، وجلس أمامه على الأرض ، قال فى دهشة وفرح : « هل هو أنت حقًا ؟ ، عرفتك منذ اللحظة التى وقعت فيها عينى عليك ، ما إن لمحتك مارًا من هنا حتى قلت فى نفسى إنه أنت ، ولكنى لم أصدق نفسى .

سأله بامبى : من أين أتيت ؟ .

تغير الوجه البشوش الذى أمامه ، وبدا مهموما ، قال يشكو : شجرة البلوط الضخمة التى آوى إليها وأتخذها لى سكنًا تحطمت ،شجرتى الجميلة العجوز ، هل تذكرها ؟ كانت ضخمة مهيبة ، قطعها ،اجتثها الشبح ، أطرق بامبى حزينًا ، اغتم لما أصاب الشجرة العجوز العجيبة .

وعاد السنجاب يحكى : وما إن حدث هذا حتى فر كل من كان يسكن فوق الشجرة ، ووقف الجميع يرقبونه وهو يعض فى جذع الشجرة بأسنان لامعة ضخمة ، أنّتِ الشجرة أنينًا عاليا من أثر الجرح الذى أصابها ، ظلت تئن طالما الأسنان الجادة العملاقة تنهش فى جسدها ، كم كان حزينًا ومروعا أن تسمع أنينها المؤلم ، وأخيرًا سقطت الشجرة الجميلة المسكينة فوق الأرض ، وبكى عليها كل من رآها من أحبابها .

تنهد السنجاب ثم قال : آه — إنه قادر على فعل أى شىء ، إنه قوى جبار ، وحدق بعينيه الواسعتين فى بامبى ،ووجه أذنيه نحو ،ولكن بامبى لزم الصمت .

واستطرد السنجاب فى حديثه : هكذا أصبحنا جميعًا مشردين بدون مأوى ، بل إننى لا أعرف شيئًا عن مصير الآخرين ، وجئت أنا إلى هنا ، ولكن لا أظن أننى سأجد شجرة أخرى مثل شجرتى الراحلة بسرعة وسهولة .

قال بامبى فى نفسه : شجرة البلوط الضخمة العجوز ، أعرفها منذ أيام الطفولة ، وعاد السنجاب إلى الحديث فقال مبتهجًا : حسن لم أكن أتصور أنك أنت حين أبصرتك ، فقد ظن الجميع هنا أنك مت منذ زمن طويل ، طبعًا هناك من كذب هذا الظن وقالوا إنك لا تزال على قيد الحياة ، وقال أحدهم ذات يوم إنه رآك ، ولكن لم ينته أحدنا إلى رأى قاطع ومحدد ، أما أنا فقد كنت أقول هذه ثرثرة .

أدرك بامبى ما فى نفس السنجاب من فضول ، وأنه يسعى لاقتناص إجابة منه ، وظل صامتًا ، ولكنه أحس برغبة فى داخله هو أيضًا للسؤال والمعرفة ، أراد أن يسأله عن فالين وعن الخالة عينا وعن رونو وكاروس وكل أصدقاء الطفولة ، غير أنه لم يسأل ولزم الصمت .

ظل السنجاب جالسًا أمامه يتفرسه ، وصاح فى دهشة وإعجاب : ما هذه القرون الجميلة ، لا يوجد فى الغابة كلها من له قرنين مثل قرنيك سوى الأمير العجوز .

أحس بامبى بنشوة وزهو لسماعه هذا الإطراء ، ولكنه لم يزد عن قوله « ربما » .

أومأ السنجاب برأسه فى حركة سريعة وقال فى دهشة : حقًا لقد بدأت تظهر عليك علامات المشيب .

سار بامبى فى طريقه ، فأدرك السنجاب أن الحديث قد انتهى فقفز بين الأشجار ، وصاح من أعلى الشجرة « وداعًا وداعًا » ، أسعدنى كثيرًا أن أراك ، لو رأيت أحدًا من معارفك سأخبره بأنك لا تزال حيًا ، سيفرحون لهذا النبأ .

سمعه بامبى وعاوده الشعور بتلك الرغبة التى تحركت فى داخله ، ولكنه لم يقل شيئًا ، إنه يذكر تلك الحكمة التى تعلمها على يد الأمير العجوز حينما قال له وهو لايزال طفلا ، احرص على الحياة وحدك ، وكشف له ذكر الغزال العجوز بعد ذلك عن كثير من الحكمة والأسرار ، ولكن حكمته الأولى ظلت هى أهم تعاليمه ، احرص على أن تعيش وحدك إذا ماشئت أن تصون نفسك ، وإذا أردت بلوغ الحكمة فإن سبيلك إليها هو العيش وحدك .

واعترض بامبى ذات مرة وقال : ولكننا نحن الاثنان نعيش معًا دائما .

وأجاب الأمير العجوز على الفور : ليس لزمن طويل .

كان هذا منذ أسابيع مضت ، وتذكر بامبى كيف كانت أول كلمات الأمير له عن الوحدة . كان ذلك يوم أن وقف ينادى أمه ، وهو لا يزال طفلا والتقى بالأمير ، أقبل عليه الأمير فى ذلك اليوم وسأله بصوته الوقور الجاد : ألا تستطيع البقاء وحدك ؟ وواصل بامبى تجواله .

- ٢٠ -

الفصل العشرون

انكسرت حدة البرد ، وهبت نوبة دفء ونحن فى وسط الشتاء ، تشربت الأرض كثيرًا من مياه الثلج الذائبة ، فكشفت عن مساحات واسعة من التربة هنا وهناك ،لم تشد أسراب الشحرور بعد ، ولكنها إذا حومت فوق الأرض وهى تبحث عن الديدان ، أو إذا رفت بأجنحتها حين تتنقل من شجرة إلى أخرى تصدر صفيرًا طويلا كله بهجة ومرح ، كأنه أغنية تتغنى بها ،وبدأت طيور نقار الخشب تثرثر بين الحين والحين ، وارتفعت أصوات حديث الغربان ، وسقسقت طيور أى زريق فى سرور وفرح ، وأخذ دجاج الفيزنت ذو الألوان الزاهية يهبط من أوكاره ويستقر فوق الأرض يسوى ريشه ويزهو بأناقته ، ويطلق من حنجرته قأقأته ذات الصوت المعدنى الرنان .

وذات صباح خرج بامبى يتجول كعادته وعاد إلى طرف جحره مع غبش الفجر ، أبصر جسمًا يتحرك عند الطرف الآخر فى المكان الذى كان يأوى إليه ويعيش فيه قديما ، توارى بامبى داخل الأجمة ،

وأخذ يمعن النظر ، رأى غزالة تتمشى على مهل جيئة وذهابًا ، تنبش فى الأماكن التى ذاب فيها الثلج بحثًا عن أعشاب تقتاتها .

فكر بامبى فى أن يبعد عن المكان بعد أن تعرف على فالين ، راودته أول الأمر رغبة فى أن يقفز نحوها ويناديها ، ولكنه تسمر فى مكانه ،إنه لم ير فالين منذ زمن طويل ، بدأ قلبه يدق بسرعة .

وكانت فالين تتحرك ببطء كأنها متعبة حزينة ، أصبحت تشبه أمها الآن كثيرًا ، ولحظ بامبى فى ألم ودهشة أن السن تقدمت بها وباتت مثل الخالة عينا العجوز .

رفعت فالين رأسها وحملقت فى المكان كأنها أحست بوجوده ، تقدم بامبى نحوها ثم عاد وتوقف مترددًا عاجزًا عن الحركة ، رأى فالين وقد شاخت وشابت .

سرحت خواطره مع الماضى ، وقال فى نفسه : أين فالين المرحة الأنيقة ، كانت فاتنة تسر العين مفعمة حيوية ونشاط ، وطافت بخياله فجأة ذكريات شبابه سريعة كأنها ومضة برق ،والدروب التى كان يسلكها مع أمه ، وألعابه المرحة المسلية مع جوبو وفالين والفراش وأبو النطيط ، وقتاله مع كاروس ورونو حين انتصر عليهما وفاز وحده بفالين دونهما . عاودته مشاعر السعادة ولكن أحس برجفة تسرى فى جسده .

واصلت فالين تجوالها ، خافضة الرأس ، بطيئة الخطو ، حزينة

مجهدة ، أحس بامبى فى تلك اللحظة بحب غامر لها مع مسحة من الحزن أراد أن يقفز نحوها عبر تلك الحفرة التى تفصل بينهما ، فكر فى أن يحلق بها ، ويتحدث إليها ، ويستعيد معها ذكرياته عن شبابهما وعن كل الأحداث التى صادفت حياتهما ، وتابعها بنظراته يحدق فيها وهى فى طريقه تبعد عنه تحت الأغصان الجرداء حتى توارت أخيرًا عن ناظريه .

وظل واقفًا فى مكانه زمنًا طويلا عيناه تحدقان فى المكان الذى اختفت عنده ، وسمع صوتًا كقصف الرعد . تراجع بامبى وانكمش على نفسه ، جاء الصوت من المكان الذى يقف فيه . لم يكن بعيدًا عنه بل قريبًا منه جدًا ، ثم توالت قصفة ثانية وثالثة ، وقفز بامبى داخل الأحراش ، ثم توقف وتصنت ، كل شىء ساكن بلاحراك وانسل خلسة عائدًا إلى مأواه . كان ذكر الغزال العجوز قد سبقه إليه ، لا يزال يقظا واقفًا بجوار جذع شجرة الزان يترقب ، وسأل بامبى فى جدية : أين كنت كل هذه الفترة ؟ ، ولاذا بامبى بالصمت .

عاد الأمير يسأل بعد قليل : هل سمعت ؟

أجاب بامبى : نعم ... ثلاث مرات ... . لابد وأنه هنا فى الغابة .

أومأ الأمير برأسه وأكد الرأى بنبرة واضحة وقاطعه : طبعا .. إنه فى الغابة . ويجب أن ترحل من هنا .

وأفلت السؤال من لسان بامبى : إلى أين ؟ .
قال الأمير بصوت وقور : إلى حيث هو الآن ، فزع بامبى
واصل ذكر الغزال كلامه : لا تخف ... تعال معى ولا تخف .
يسعدنى أن اصطحبك لأعلمك الطريق ..
وتردد قليلا ثم أضاف بهدوء : « قبل أن يحين الأجل وأرحل ..
تطلع بامبى إلى الأمير العجوز مذهولا ، وأدرك فجأة كيف بدت
عليه الشيخوخة . ابيض رأسه تماما ، وأصبح الوجه نحيلا هزيلا .
وخبا نور عينيه ، وضعف بريقهما .
لم يمضيا طويلا فى طريقهما حتى شما البوادر الأولى لتلك
الرائحة النفاذة التى تثير الخوف والهلع فى القلوب .
توقف بامبى ، ولكن الأمير العجوز اتجه مباشرة إلى المكان
الذى تنبعث منه الرائحة ، وتبعه بامبى مترددًا .
اشتدت الرائحة أكثر وأكثر ، وتقدم نحوها الأمير العجوز دون
توقف ،سيطرت على بامبى فكرة الهرب ، ولكنه تمالك نفسه
واستحثها على المضى خلف الأمير وبالقرب منه .
فاحت الرائحة قوية جدا حتى غطت فى كل ما عداها وحولها
وأصبح التنفس معها عسيرًا .
قال الأمير العجوز : « إنه هنا » .
تطلع بامبى من بين الأغصان الجرداء فأبصره راقدًا فوق الثلج

على بعد خطوات قليلة ، دهمه شعور خوف قاتل ، وسرت فى جسده رغبة مفاجئة فى الفرار ، ولكنه سمع صوت الأمير العجوز يناديه : « قف » .

تلفت بامبى حوله ورأى الأمير العجوز واقفًا فى هدوء حيث كان الشبح راقدًا على الأرض . حدق فيه بامبى مذهولا . وثارت فى نفسه مشاعر متناقضة عديدة بين توقع لخطر داهم ، وفضول ورغبة فى المعرفة ، وطاعة لكلمة الأمير ، وخطا خطوتين نحو الأمير .

قال له ذكر الغزال العجوز : اقترب ...لا تخف ..

كان الشبح راقدًا على ظهره ، ووجهه الأبيض الشاحب العارى إلى السماء ، وقبعته بجانبه فوق الثلج ، ولكن بامبى الذى لا يعرف شيئًا عن القبعات ظن أن رأسه المهول قد أنشطر إلى اثنين . ورأى قميص الصياد الذى اعتاد انتهاك حرمة الغابة وقتل الأبرياء ، مفتوحًا حول الرقبة ، وفى صدره جرحًا نافذًا واسعًا كأنه فم مفتوح أحمر قاتم . وكان الدم ينزف منه ببطء ، وجف الدم وتجلط فوق شعره وحول أنفه ، وبجواره بركة دم تغطى الثلج الذى ذاب من أثر الدفء .

قال الأمير العجوز بصوت هادئ : نستطيع أن نقف بجواره ، إذ لا خطر منه . نظر بامبى إلى الكائن الممدد على الأرض ، وبدت أطرافه ولون جلده امورًا غريبة تثير فى نفسه الخوف والهلع ، حدق فى العينين الميتتين اللتين تحملقان فيه وقد مات فيهما البصر ، ولم يفهم بامبى شيئًا .

استطرد الأمير العجوز قائلا : بامبى ... هل تذكر ما قاله جوبو ، وأيضا ما قاله الكلب ؟ هل تذكر رأيهما وما كان يؤمنان به ؟ ولم يجب بامبى .

وأردف الأمير العجوز قائلا : هل رأيت يا بامبى ؟ هل رأيته كيف يرقد على الأرض ممدًا ميتًا مثل أى واحد فينا ؟ اسمع يا بامبى وافهم ما أقوله لك جيدًا ، إنه ليس القوى الجبار كما يزعمون ، وكل ما يعيش وينمو لا يأتى منه ، وهو ليس أرفع منا شأنًا ولا أسمى مكانة ، إنه مثلنا تماما ، له نفس المخاوف ، ونفس المطالب والحاجات ، ويعانى مثلنا تماما ، ويمكن أن يكون ضحية ويقتل مثلنا ، ويمدد على الأرض بلا حول ولا طول مثلنا جميعًا كما تراه الآن ، وساد سكون .

وعاد الأمير العجوز يسأل : هل فهمتنى ؟

قال بامبى بصوت خفيض كالهمس : أظن ذلك .

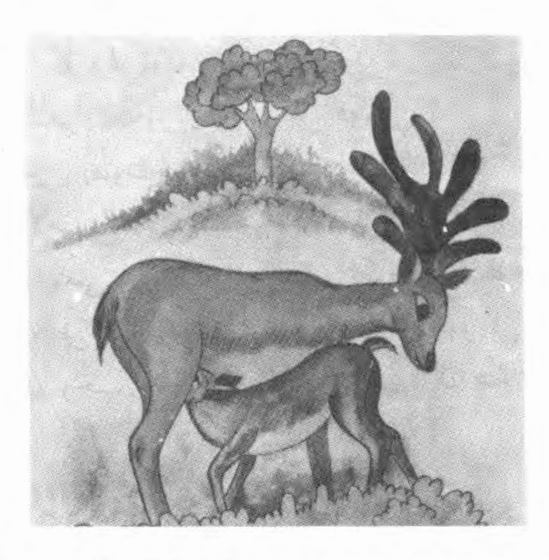
وقال الأمير العجوز بصوت آمر : قل ما ترى .

ارتجف بامبى ، وبرقت فى خطاره فكرة كأنها الوحى وقال : نعم ... يخطئ من تدعوه قوته إلى البطش فهو فى ضلال ، الحياة تعاون وحب وسلام ، وليتذكر القوى أن هناك دائما من هو أقوى .

تأمله الأمير العجوز بنظرة عميقة هى مزيج من الحب والإعجاب

ثم قال : الآن أستطيع أن أمضى إلى حال سبيلى وقد اطمأنت نفسى ، استدار ، وسارا معًا جنبًا إلى جنب مسافة غير قصيرة ، ثم توقف ذكر الغزال العجوز عند أسفل شجرة البلوط ، نظر إلى بامبى وقال بصوت هادئ : بامبى ... لا تتبعنى بعد الآن ... انتهى أجلى وحان موعدى ، آن لى أن أبحث عن مكان أسكن إليه .

حاول بامبى أن يتكلم ولكن الأمير العجوز قاطعه : لا ... . لا تتكلم . حانت ساعتى وليكن كل منا وحده . وداعا يابنى . لقد أحببتك كثيرًا .



- ٢١ -

الفصل الحادى والعشرون

طلع فجر يوم من أيام الصيف حارًّا ، وكان الجو خانقًا زمتًا ليس فيه نسمة هواء ، ولا حتى لسعة البرد الخفيفة المألوفة مع مطلع كل فجر ، وبدا وكأن الشمس أسرعت فى إشراقها عن المعتاد ، إذ أطلت سريعة ، وسطعت متوهجة ، فكانت شعلة تبهر البصر بأشعتها الوضاءة .

وفى لحظة جف الندى من فوق أشجار المرج ، ويبست الأرض حتى تفتتت التربة وتشققت ، وسكنت الغابة منذ ساعة مبكرة ، فلم تعد تسمع غير طائر نقار الخشب ينقر بين الحين والحين ، أو الحمام يهدل فى رقة مشبوبة العاطفة .

كان بامبى واقفًا فى فسحة صغيرة ، يصنع فرجة ضيقة وسط الأجمة يأوى إليها ، وتردد طنين بين أوراق شجر البندق بالقرب من بامبى ، وزحفت خنفساء الربيع ثم حومت ببطء حوله ، طارت بين الذباب ، وارتفعت فى طيرانها قليلا قليلا حتى استقرت عند قمة شجرة لتنام النهار بطوله وإلى حين المساء ، وضمت جناحيها إلى جسمها بقوة ، وصدر عنهما أزيز رتيب .

تباعد الذباب حتى تمر خنفساء الربيع .. ثم عاد والتأمت صفوفه ، وانعكس وميض الشمس على جناحيها وهى تمضى بين الذباب محلقة حتى اختفت ، وسأل الذباب بعضه بعضًا : هل رأيتها ؟ .

وطن البعض قائلا : هذه هى خنفساء الربيع العجوز . إنها الأميرة العجوز .

وقال آخرون : ماتت ذريتها ولم يبق على قيد الحياة غير واحدة ، واحدة فقط .

وسأل البعض : وترى إلى متى ستعيش ؟ .

أجاب آخرون : – لا ندرى ، بعض أفراد الذرية يعيشون زمنًا طويلا ، وربما يعيشون إلى الأبد ، إنهم يرون الشمس ثلاثين أو أربعين مرة ، لا نعرف على وجه اليقين ، إن حياتنا طويلة وعمرنا مديد ولكننا لا نرى النهار غير مرة واحدة أو مرتين .

وسأل بعض صغـار الذبـاب : – كم عمر خنفساء الربيـع العجوز ؟ – هى أطول افراد أسرتها عمرًا ، عمرها من عمر التلال والجبال ، عاشت طويلا وخبرت الحياة كثيرًا ، وعرفت من شئون الدنيا أكثر مما نتصور .

سار بامبى وهو يفكر ويقول لنفسه : طنين ذباب ، طنين ذباب ، وصل سمعه نداء رقيق خائف ، أنصت للنداء ، واقترب من مصدره فى هدوء وحذر كما تعلم من الأمير العجوز .

عاد النداء أكثر إلحاحًا وشكوى ، إنه نداء اثنين من صغار الظباء : « أمى .. أمى .. » ، انسل بامبى بين الأشجار ، واقتفى أثر النداء ، اثنان من ولد الظباء واقفان جنبًا إلى جنب ، أخ وأخت ، وقد بدا عليهما الخوف والجزع . يناديان : أمى ... أمى ... فجأة أبصرا بامبى أمامهما لا يدريان من أين ولا كيف أتى ، حدقا فيه صامتين .

وقال بامبى بصوت باتر قاسى : أمكما ليس لديها وقت لكما — وحملق فى عينى الأخ الصغير ، وقال له فى استنكار : ألا تستطيع البقاء وحدك معتمدًا على نفسك ؟ لاذا الأخ والأخت بالصمت .

استدار بامبى ، وانسل بين الأشجار واختفى قبل أن يفيقا لنفسيهما ، ومضى بعيدًا ، قال فى نفسه : « هذا الصغير أحبه ويعجبنى » ربما ألتقى به ثانية وهو كبير ... » .

وسرع بفكره وقال فى نفسه : « وهذه الفتاة الصغيرة رقيقة حلوة ، وهكذا كانت فالين فى طفولتها وهى ظبية صغيرة ، ومضى فى طريقه ، واختفى داخل الغابة .



رقم الإيداع	١٩٩٨/١٠٧٠٤	
الترقيم الدولى	977-02-5602-1	ISBN

٧/٩٧/١٢٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)